الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

كلّية العلوم الإجتماعية والإنسانية

التَّخصص: تاريخ حديث

الأسطورة القبائلية في الجزائر خلال النصف الأول من القرن 19

جذور وتجليات

مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطَّالبة:
صبرينة أعراب

إشراف الأستاذ:
د. مصطفى سعداوي

السَّنة الجامعيَّة: 1439هـ/1440هـ الموافق لـ: 2018م/2019م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tubirett -

جامعة البويرة

كلّية العلوم الإجتماعية والإنسانية

التَّخصص: تاريخ حديث

الأسطورة القبائلية في الجزائر خلال النصف الأول من القرن 19

جذور وتجليات

مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطَّالبة:
صبرينة أعراب

إشراف الأستاذ:
د. مصطفى سعداوي

لجنة المناقشة:

قاسيمي زين الدين.....رئيسا

محمد شريف حسين.....مناقشا

سعداوي مصطفى..... مشرفا

السَّنة الجامعيَّة: 1439هـ/1440هـ الموافق لـ: 2018م/2019م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

قال تعالى: ولئن شكرتم لأزيدنكم .

فالحمد والشكر لله عز وجل أولا وقبل كل شيء على تيسيره وتوفيقه لي في إنجاز هذا العمل المتواضع.

يسعدني أن أتقدم بعميق الشكر وخالص التقدير والاحترام إلى الدكتور مصطفى سعداوي.

الذي أشرف علينا طيلة انجاز هذا البحث بنصائحه, وإرشاداته القيمة كما تفضل علينا بوقته , وذالك رغم انشغالاته , وارتباطاته , واتمنى أن يجعل الله هذا العمل في ميزان حسناته ,

كما لا انسي ان أوجه بتشكراتي إلى وهاب عاقلة التي لم تبخل علي بتقديم العون. كما أشكر كل من ساهم في انجاز هذا العمل.

ولو بكلمة طيبة،

إهداء

الحمد لله حمدا كثيرا يليق بجلال وجهه الكريم

أهدي عملي هذا إلى الذين قال فيهما الله: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا"، أمي وأبي الغاليين أطال الله في عمرهما.

إلى جميع الإخوة وكل الأهل والأقارب

إلى كل من جمعتني بهم الحياة الجامعية

وإلى كل من ساعدني من قريب أو من بعيد

ولو بكلمة طيبة أو ابتسامة صادقة أو دعاء خالص

وفي الأخير نرجو من الله تعالى أن يجعل عملنا هذا نافعا يستفيد منه الجميع

صبرينة

قائمة المختصرات:

دن.م: دون مكان النشر.

دن.س: دون سنة النشر.

دن.ط: دون طبعة.

تر: ترجمة.

تع: تعليق.

تق: تقديم.

تح: تحقيق.

ص: صفحة.

ج: الجزء.

م: ميلادي.

هـ: هجرية.

ش.و.ن.ت: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

بالفرنسية:

Op ; Cit :Opéré citato

Ibid : ibidem

P : page

T : Tome du Liver

مقدمة

لا يختلف اثنان في كون " **الأسطورة القبائلية**" تكتسي أهمية متميزة في تاريخ الجزائر المستعمرة، إذ جسدت إحدى الوسائط التي وظفتها القوة الاستعمارية لخلخلة أركان المجتمع المحلي وفكفكة بناه، وذلك بغية تسهيل عملية السيطرة عليه والتحكم فيه. بيد أن ما لم يتوقف عنده الكثيرون هو أن هذه الفكرة ما كان لها ان تأتي من فراغ وناهيك أن تستمر إلا في بيئة ملائمة شجعت على نموها وانتشارها. ما يقودنا رأسا الى التساؤل عن جذور هذه الفكرة في ما قبل 1830 والملابسات المختلفة التي هيأت الوضع لإنبثاقها.

من هذا المنطلق، كان اختياري لهذا الموضوع الموسوم بـ: "الأسطورة القبائلية خلال النصف الأول من القرن 19 الجذور وتجليات". وتكمن أهمية الموضوع في

كونه يعيد بناء الأحداث التاريخية لـ "**الأسطورة القبائلية**" التي تعود جذورها إلى فترة ما قبل الاحتلال، وكشف عن مساهمة الكتابات العربية في تمهيد لهذه الفكرة. وإبراز الدور الذي لعبته الكتابات القناصل والجواسيس في بناء هذه الأسطورة قبل الاستعمار وبعده. كما يبرز أيضا مدى ازدواجية النشاط العسكري والنشاط الديني في الترويج للأسطورة القبائلية.

وقد ساهمت العديد من العوامل والأسباب في اختيارنا لهذا موضوع منها:

- الرغبة الشخصية في معالجة الموضوع الذي ما زالت آثاره واضحة إلى يومنا هذا. بالإضافة إلى كونه موضوع لم يحظ بدراسة من قبل في جامعتنا.
- أن الموضوع لا يزال حقل خصبا يدعو إلى الإشباع بالتطرق إلى مختلف جوانبه، وإزال الغموض الذي يعتريه.
- أن أخوض في هذا الموضوع من أجل الكشف عن جذوره، لأن البحوث التي تناولته نادرة ومعظمها تطرقت إليه في الفترة الاحتلال(1830) ولا نجد فيها إلا إشارة

إلى وجودها قبل الاحتلال ومن بين الذين أشار إلى وجدوها من قبل شارل روبين أجيرون.

- أن أبحث في الركائز التي استندت عليها فرنسا في ابتكار هذه الفكرة، مما جعلها أرضية خصبة استغلتها لبناء فكرتها هذه.
- وماهي الإستراتيجية والوسائل التي اعتمدت عليها لنشر هذه الفكرة..
- البحث عن الصورة الاجتماعية التي كانت تجمع بين الأيالة العثمانية والمنطقة القبائل خاصة وأن سكانها معروفين بحبهم للاستقلال.

الإشكالية:

وقد تمحورت اشكالية هذا البحث حول حقيقة الأسطورة القبائلية: هل هي بدعة فرنسية خالصة وابتكار تعود براءة اختراعه إلى فرنسا الاستعمارية منذ 1830؟ أم لها جذور وخلفيات عميقة تعود إلى أواخر الفترة العثمانية وربما إلى أبعد من ذلك؟

وفي مسعى الإجابة على هذه الإشكالية، لم يكن بدّ من تفكيكها إلى جملة من الاستفهامات الفرعية التالية:

- ما المقصود بـ "الأسطورة القبائلية"؟ وما هي مرتكزاتها على المستويين النظري والعملي؟

- ما هي البذور الأولى لهذه الأسطورة؟ وما هي العوامل التي ساعدت على انبثاقها قبل 1830؟

- كيف ساهم الاحتلال الفرنسي في بلورة " الأسطورة القبائلية" بين 1830 و1857؟ وما الدور الذي اضطلعت به في هكذا مسعى كل من المؤسسة العسكرية والكنيسة الكاثوليكية؟

وبغية العثور على اجابات مقبولة على هذه التساؤلات، كان عليّ استقاء المعلومات والبيانات اللازمة لذلك من مظّانها الأصلية ومصادرها الأساسية. وبهذا الخصوص، اعتمدت على العديد من المؤلفات والكتابات، كان من أهمها ما يلي:

_ **كتاب ابن خلدون**: المعروف بالعبر وديوان الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، وهو مصدر الذي تمكنت من خلاله التعرف على البربر (القبائل) والعرب فتناول صفاتهم وعاداتهم وتقاليدهم إذ خصص فصل لكل واحد منهم.

- **كتاب إفريقيا**: للرحالة الاسباني مارمول كربخال الذي يؤرخ للقرن السادس عشر، ساعدني من خلال عقده المقارنة بين القبائل والعرب من حيث ذكر محاسن الأول ومساوئ الثاني.

- **تاريخ الزواوة**: للشيخ أبي يعلى زواوي، وهو كتاب يتحدث عن القبائل والنظر في طبائعهم، وقد أرخ للقرن التاسع عشر، سرد فيه خصائص منطقة القبائل وسكانها.

وفيما يخص المصادر باللغة الفرنسية، فكانت متعددة بتعدد الأهداف والمصالح السياسية والعسكرية الفرنسية في منطقة، ولعل أبرزها.

- Charles Devaux : les kebailes du Djurdjura

- Haedo Don Diego, topographie et histoire générale D’Alger,

كما استأنست بالعديد من المراجع، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- شارل روبن اجرون:**الجزائريون المسلمون وفرنسا** 1871_1919.

- سعيدي مزيان: **السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموقف السكان منها** 1871-1914

- بوضرساية بوعزة، **السياسة فرنسا البربرية في الجزائر** 1830_1930 **وانعكاساتها على المغرب العربي.**

أحمد رضوان شرف الدين: الخرافة القبائلية، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، 1997.

وفيما يخص المراجع الفرنسية فاعتمدت على مجموعة من المؤلفات نذكر منها:

- M .DAUMAS, M.FABBAH, la grand Kabylie

- Warnier : Algérie devant

- Ageron (ch. R), la France a-t-elle eu une politique kabyle, Revue Historique t 23 ; Avril ; Juin 1960.

ولمعالجة المعطيات المستخلصة من المصادر والمراجع المذكورة أعلاه، استعنت بعدة مناهج تنوعت مابين المنهج التاريخي الوقائعي في استعراض التطور التاريخي للأسطورة، وكذا المنهج التاريخي التحليلي في محاولة مقاربة خلفياتها المتنوعة وتداعياتها المعقدة. هذا بالإضافة إلى الاستنجاد كلما دعت الى ذلك الحاجة بمناهج أخرى من قبيل المنهج المقارن ومنهج تحليل المضمون وتقنيات التحليل الكمي، الخ...

وكانت الثمرة النهائية لذلك هذه المذكرة التي جعلتها في ثلاث فصول: وقد خصصت أولها للتعريف بالأسطورة لغة واصطلاحا ثم حاولت ضبط مفهوم الأسطورة القبائلية والوقوف على اهم ما تضمنته من أفكار ونظريات التي أطلقها الفرنسيين على القبائل والعرب. أما في **الفصل الثاني** فقد تناولت جذور ونشأة "**الأسطورة القبائلية**" قبل **1830**. هذا، بينما عالجت في **الفصل الثالث** والأخير تطور الأسطورة القبائلية من خلال المؤلفات الفرنسية التي تطرقت إليها مع ذكر نماذج منها، وكذا إسهام السلطة العسكرية ورجال الدين في الترويج للأسطورة القبائلية.

وذيلت البحث بخاتمة استعرضت في طياتها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذه الدراسة. وأخيرا وليس آخرا، اجتهدت في إثراء هذا العمل ببعض الملاحق ذات الصلة الوثيقة بموضوع البحث.

وككل منجز علمي، اعترضت طريق هذا العمل صعوبات جمّة، لعل أشدها وقعا هو القلة الكتابات التي تناولت هذا الموضوع قبل 1830، إذ معظمها يؤرخ لميلاد الاسطورة القبائلية ببداية الاحتلال الفرنسي للبلاد. هذا إلى جانب ضيق الوقت، وتشعب الموضوع، ومعيقات أخرى كثيرة غير أن أغلبها مما يطوى ولا يروى.

الفصل الأول

الفصل الأول: ماهية الأسطورة القبائلية

المبحث الأول: مفهوم الأسطورة.

1- الأسطورة لغة.

2- الأسطورة اصطلاحا.

المبحث الثاني: الأسطورة القبائلية.

1- تعريف الأسطورة القبائلية.

2- مرتكزات الأسطورة القبائلية.

المبحث الأول: مفهوم الأسطورة

بما أن الأسطورة هي محور هذه الدراسة، فإنه من الطبيعي أن تتمحور الخطوة الأولى فيه حول تعريفها لغة واصطلاحا:

1-الأسطورة لغة:

جاء في لسان العرب: "السَّطْرُ: هو الصَّفُ من الكتاب والشجر والنخيل ونحوها... والسطر: الخط والكتابة".[1]

وقال الزجاج في قوله عز وجل: "وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَلِينَ"[2] أساطير خبر لابتداء محذوف المعنى، ومدلول الآية أن ما جاء به النبي (ص) أساطير الأولين أي سطره الأولون، وواحد الأساطير أسطورة". وقدجاء أيضا في ذات المصدر: "سطرها أي ألفها، وسطر علينا أي أتانا بالأساطير. وقال كذلك:" والأساطير: الأباطيل، والأساطير: أحاديث لا نظام لها". قال جرير:

مَنْ شاءَ بايَعْتُه مَالِي وخُلْعَتَه مَا يَكْمُلُ التِيمُ فِي ديوانِهِمْ سَطَرَا

والجمع من كل ذلك أسْطُرٌ وأسْاطرُ وأَساطِيرُ.[3] وسطر علينا: (أتانا)، وفي الأساس قص (بالأساطير)، قال الليث: يقال: سطر فلان علينا يسطر، إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل،

---

[1] جمال الدين إبي الفضل محمد بن مكرم ابن المنظور: **لسان العرب**، تحقيق عامر أحمد حيدر، ج4، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص363.

[2] سورة الفرقان:الآية 5.

[3] ابن المنظور: المصدر السابق، ص 363.

ويقال هو يسطر مالا أصل له، أي يؤلف.[1] ويقال سطر فلان على فلان إذا زخرف له الأقاويل ونمقها، أو زين وجمل تلك الأقاويل المحتواة في الأساطير.[2]

وسَطَرَ يَسطُرٌ سَطرَا: كَتَبَ، واستَطَرَ مثلُهُ. قال أبو سعيد الضرير: سَمعتٌ أعربيا فَصيحَا يقول: أَسْطَرَ فلانُ اسمي أي تَجَاوَزَ السَطْرَالذي فيه اسمي، فإذا كتبه قيل: سَطَرَهُ. ويقال: سَطَرَ فلانٌ فُلانَا بالسيف سَطْرَا إذا قطعه به كَأَنَهُ سَطْرٌ مَسْطُورٌ، ومنه قيل لسيف القَصَّابِ: ساطُورٌ. الفرَاءُ: يقال للقصاب ساطِرٌ وسَطَّارٌ وشَطَّابٌ ومُشَقصُ ولَحَّامٌ وقُدَارٌ وجَزَّارٌ. وقال ابن بُزُرج: يقولون للرَجُل إذا أَخْطأَ فَكَنَوْا عن خَطَئِهِ: أَسْطَرَ فلانٌ اليومَ، وهو الإسْطارُ بمعنى الإِخْطاءِ... وقال أبو عبيدة: جُمِعَ سَطْرٌ على أسْطُرِ ثم جُمِعَ أَسْطُرٌ على أَساطير، وقال اللحياني: واحد الأساطير أُسطورة و أُسطير وأُسطيرة.[3]

فالأسطورة تعني الكلام المسطور المصفوف، ولا يشترط فيها أن تكون مدونة أو مكتوبة، ولكن من الضروري أن تكون كلام منظوم سطر وراء سطر، فتظهر مصفوفة كقصائد الشعر ما يسهل حفظها وتداولها ويحافظ على بنيانها وكلماتها.[4]

وأما في القواميس الجديدة فقد تمّ تعريف الأسطورة على أنها الحكاية التي لا أصل لها في الواقع، وبشكل عام لم تعط المعاجم العربية (خاصة الحديثة منها) مدلولا حقيقيا لكلمة

---

[1] محمد مرتضى الحسين الزبيدي: **تاج العروس**، تحقيق مصطفى حجازي، ج 12، مجلس الوطني لطباعة والفنون والأدب، كويت،1973م،ص ص 25_26.

[2] أحمد ربيع: **محاضرة في مقياس الطقوس والممارسات الرمزية(أسس الأسطورة)**، تخصص أنتربولوجيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ورقلة، الجزائر، ص3.

[3] ابن المنظور: المصدر السابق، ص 363.

[4] قسم الدراسات والبحوث في جمعية التجديد الثقافية: **الأسطورة توثيق حضاري**، طبعة الأولى، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، 2009،ص 21

أسطورة[1]. وهو ما حدا بالبعض الى القول بأن مصطلح الأسطورة ما هو سوى الترجمة العربية للمصطلح اللاتيني « .Myth » المشتق من المصطلح اليوناني(Mythos)، أي أن كلمة أسطورة ليست عربية، إنما "مقتبسة من كلمة (استوريا) اليونانية، وتعني حكاية أو قصة... إلا أن كلمة أسطورة تعني حكاية غير حقيقية، أو على عكس الحقيقية، بينما كلمة (Historia) تعني تاريخ. وهكذا أصبحت ميثوس المترجمة أسطورة بعكس استوريا، وتعني شيئا غير موجود في الواقع، أي خرافة"، لذا فإن المصدر الذي اشتقت منه اللفظة العربية أسطورة بمعناها الحديث، فإنه مثار جدل بين الباحثين"[2].

غير أن ورود كلمة الأساطير في القرآن الكريم في العديد من الآيات يدحض هذه الإدعاءات، حيث جاء في سورة النمل/ قوله عز وجل :"... لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ."[3] ولقوله عز وجل:"وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ"[4]، وقوله أيضا: "وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ، الَّذِينَ يُكَذِبُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلاَّ كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ، إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ"[5]، وهنا إشارة إلى اتهام المشركين للنبي باستلهامه قصص الأولين المكتوبة. كما أن أصحاب هذا الرأي لم يبنوا فكرتهم على براهين واقعية بل استندوا في ذلك إلى التشابه اللفظي بين الكلمتين هما" أسطورة" العربية و"Historia" اليونانية. وحتى هذا التشابه بعيد عن الصواب؛ فمقارنة الأسطورة بـ "Mythos" الإغريقية، أسفر عن

---

[1] أحمد ربيع: المرجع السابق، ص3.

[2] ميساء مضر شيخ يوسف: **اللغة في الأسورة بين التأويل والتعليل** مقاربة سيميائية للنصوص الأوغاريتية، مذكرة شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين، دمشق، سوريا، 2009/2008، ص15.

[3] سورة النمل الآيات70.

[4] سورة الأنفال الآيات رقم 31.

[5] سورة المطففين الآيات:10_13.

تشابههما من حيث الشكل والمعنى، لكن الربط ما بين كلمة "Mythos" و"Historia" محاولة مجانبة للصواب، إذ تتفق الكلمتان في الشكل وتختلفان في المعنى.[1]

2-الأسطورة اصطلاحا:

تنوعت التعاريف التي أعطيت لمفهوم الأسطورة تبعا لتنوع الاتجاهات المعرفية (من وضعانية، وظاهرتية، وما بعد الحداثة...) والتخصصات العلمية (كالأنثربولوجيا وعلم النفس وعلم الاجتماع والأتنولوجيا واللسانيات...) والزوايا التي رُصدت من خلالها الأسطورة وكذا الجوانب التي جرى التركيز عليها كالمضمون والشكل والوظيفة...[2] إلا أن ذلك لم يمنع بعض الباحثين من محاولة تقديم تعريف يتسم بالإحاطة والشمولية الى حد مقبول.

وفي هذا الإطار، يذهب بعض الدارسين الى أن الأسطورة قصة من القصص الخرافية، أو حكاية من الحكايات الخيالية؛ فهي تشتمل على أشخاص أو حوادث أو أعمال فوق طاقة البشر.[3] ويعرفها البعض الآخر على أنها جنس أدبي، عماده الخيال، وأساسه الخرافة، وقد سميت بالأسطورة لأنها توظف أشياء ومظاهر خارقة للعادة، وخارجة عن المعقول، وإن كانت من صنع خيال الإنسان.[4] ومن الجدير بالذكر أن علماء السوسيولوجيا يتعاملون معها بوصفها تجسيدا لـ "ميثاق اجتماعي" أي كنوع من تبرير عادات وسلوك جماعة

---

[1] ميساء مضر شيخ يوسف: المرجع السابق، ص 17.

[2] محمد علي السلايمي: **الأسطوري في شعر المتنبي**، د. ط، الدار التونسية للكتاب، د.م، 2013، ص 13.

[3] ترنيفي آلاء خديجة: **ترجمة الرموز في فن الخرافة**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، الجزائر، 2017/2016،ص 25

[4] د/ حاكم عمارية: **الأسطورة ودورها في الإبداع**، ملخص المقال بالعربية، جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة، الجزائر، ص 131.

معينة[1]. هذا ومن التعاريف الشاملة للأسطورة ما ذهب إليه الباحث فراس السواح من أنها: "حكاية مقدسة، ذات مضمون عميق يشف عن معاني ذات صلة بالكون والوجود والحياة الإنسان".[2]

وقد حظي مفهوم الأسطورة باهتمام كبير لدي الباحثين الغربيين حيث "يراها مالينوفسكى، على أنها ركن من أركان الحضارة الإنسانية، تنظم المعتقدات وتعززها، وتصون المبادئ الأخلاقية وتقوّمها" ...الخ. ويرى كارل غوستاف يونغ أن الأسطورة تنير جوانب النفس الإنسانية، وأن المجتمع الذي يفقد أساطيره بدائيا كان أم متحضرا يعاني كارثة أخلاقية تعادل فقدان الإنسان لروحه.[3] أما في "إعتقاد جيرالد لارسون"، فهي حكاية أو مجموعة من الحكايات أو الروايات المنسوخة عن الآلهة أو القوى الغيبية والمتداولة بين الناس في العشيرة أو القبيلة أو الجماعة العرقية، تعرض تجاربها وعالمها فرديا أو جماعيا، كما أنها تفسر خلق الكون والإنسان ونشأة الموت والقرابين وأعمال الأبطال.[4]

وبشكل عام، فالأسطورة هي مجموعة من الحكايات المتوارثة منذ أقدم الفترات والعهود الإنسانية، تكون حافلة بمختلف أنواع الخوارق والمعجزات التي يختلط فيها الواقع بالخيال، ويمتزج عالم الظواهر بما فيه من إنسان وحيوان ونباتات ومظاهر كونية بعالم مافوق الطبيعة من قوى غيبية آمن بها الإنسان الأول، واعتقد بألوهيتها فتعددت نظرة الآلهة مقترنة بتعدد مظاهرها المختلفة.[5]

---

[1] شارلو تسيمور سميت:**موسوعة علم الإنسان**، ترجمة محمد الجوهري، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، د. م،1998 ص ص93_94.

[2] قسم الدراسات والبحوث: المرجع السابق، ص25.

[3] نفسه، ص ص 23_24.

[4] حاكم عمارية: **الأسطورة ودورها في الإبداع**، ص ص 133-134.

[5] نفسه، ص 134.

نظرا لتشعب وكثرة مفاهيم الأسطورة، فقد تنوعت وتعددت مضامينها، نجد منها.

المبحث الثاني: الأسطورة القبائلية.

1- تعريف الأسطورة القبائلية:

تندرج الفكرة المؤسسة للأسطورة القبائلية والتي تطورت إلى سياسة قبائلية أوجدت ما يعرف –حاليا- بالمسألة البربرية، ضمن مخطط الاستعماري الفرنسي في الجزائر.الهدف منها تفتيت المجتمع الجزائري من حيث مقوماته الحضارية[1]. وُلدت الأسطورة القبائلية إلى حد كبير في أدب الرحال الأوروبيين الأوائل الذين زاروا الجزائر التي لعبت دورا فعال في خلق الصور الأساسية للأسطورة، كتنوع العرقي في الجزائر(العربي، القبائل)،ثم عملت فرنسا خاصة على تطويرها من خلال إطلاق نظريات من شأنها نشر الفكرة بين السكان والترويج لها، منها النظرية القائلة بإيجابية القبائلي وسلبية العربي، لتنتهي إلى تطبيقها وذلك عند دخولها إلى المنطقة القبائل عام 1857.

وبناء الأسطورة القبائلية يرجع أساسا وباستمرار، إلى الوصف الأنتروبولوجي والخصائص السوسيولجية (اللغوية والجغرافية والدينية)، التي صدرت في شأن المجتمع القبائلي الذي يتميز عن غيره من عناصر. وارتكزت على فكرتين هما وجود تعارض بين العنصر القبائلي والعنصر العربي من جهة وتشابه مع العنصر الأوروبي من جهة أخرى، مستندة في بنائها هذا على الملاحظات التي دونها الباحثون(المكتشفون الفرنسيون) في مذكراتهم حول المنطقة في القرن 18 والتي اعتبرت أول احتكاك بين القبائل وفرنسيين. فجعلت من الفرد القبائلي يحتل مكانة الوسط بينهما؛ حيث يكون في مرتبة أعلى من العنصر الأول

[1] د سعيدي مزيان: **السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموقف السكان منها1871-1914**، الجزء1، دن.ط، وزارة الثقافة، الجزائر، د.س، ص 251.

ومن واجبه الحفاظ على الفوارق التي بينهما حتى لا تختلط بهم بينما يكون بمرتبة أدنى من العنصر الثاني الذي لن يلتحق بركبه إلا مع مرور الوقت. فكانت بداية هذه الملاحظات مع القس رينال من خلال كتابه " التاريخ الفلسفي لشمال إفريقيا" وذلك عام1826 الذي تضمن إرهاص فكرة "الأسطورة القبائلية" في جزءه الأول، حيث سجل فيه السمات الأساسية للخصوصية القبائلية المتمثلة عنده في: " لغة أصيلة وفقيرة جدا، وحياة مستقرة لأولئك السكان الجبليين الميالين بشدة إلى الحرية".[1]

2- مرتكزات الأسطورة القبائلية:

لاستيعاب الأسطورة القبائلية، لا مناص من تحليل مضمونها الى مكوناته الأساسية. فهي بنيت على الأربعة العناصر أساسية تتمثل في:

- حضور فئتين اثنيتين (أو عرقيتين) في الجزائر هما البربر(القبائل) والعرب،

- وجود اختلافات جوهرية بين الفئتين،

- تفوق العرق البربري (بالأخص القبائلي) على العرق العربي،

- قرب العنصر القبائلي من نظيره الأوربي (الفرنسي)، ومنه إمكانية اندماجه في البوتقة الغربية.

وفيما تفصيل الحديث عن مجمل هذه العناصر المؤلفة للأسطورة القبائلية.

[1] بدر الدين مسعودي: **إستراتيجية معالجة أحداث القبائل في الصحافة الجزائرية**، مذكرة ماجستير، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005/2004. ص40.

مر بالجزائر العديد من الغزاة –الرومان، الوندال، البيزنطيين، العرب، الأتراك، الفرنسيين- واستقرت بها شعوب مختلفة أدت إلى تنوع في التركيبة السكانية للجزائر وتشكلت منها أعراق متنوعة من أبرزها البربر والعرب، ومن المعروف أن الفئة العربية قدمت إلى شمال أفريقيا واستقرت فيه مع الفتوحات الإسلامية. وتنقسم فئة البربر بدورها إلى فروع عديدة، منها: القبائل(سكان الشريط الجبلي الواقع شرق العاصمة الجزائرية). والشاوية (وهم سكان لأوراس والمناطق المحاذية له)، بني مزاب(وهم سكان بعض الواحات الصحراوية في شمال الصحراء الجزائرية)، والطوارق (وهم قبائل الملثمة التي تسكن سلسلة جبال الأطلس الصحراوي أو مايسمون بالرجال الزرق)، الخ...[1]

وفي هذا الموضوع ذكر وارنييه أن السكان الأصليين للجزائر يتكونون من شعبين مختلفين جدا، القوطيون وشعب البربر. أما سكان العرب فهم أجانب.[2] كما أضاف ROZET في نفس السياق:" العرب غزاة، جاؤا كمغامرين ومحاربين."[3]

وبالرغم من أن العنصرين الرئيسين المذكورين أعلاه (أي العرب والبربر) يعيشان معا لكن تمايزهما حال دون تلاحمهم. وهذه لاختلافات استهوت الرحالة والكُتاب القدامى والمُحدثين فكتبوا عنهم وكل ما يميزهم عن بعض من مختلف الجوانب طبائعهم وطريقة عيشهم، صفاتهم، لغتهم، عاداتهم وتقاليدهم. فقد ذكر حمدان بن عثمان خوجة في كتابه المرآة، أن البدو ينقسمون إلى طبقتين أو إلى نوعين متميزين من السكان فالذين يسكنون السهول هم العرب الحقيقيون، أصلهم من الشرق وينحدرون من قبائل عربية مختلفة. أما الذين يسكنون الجبال أو

---

[1] د عمر عسوس : **أزمة الهوية لدى البربر في الجزائر**، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد 6، جامعة 20 أوت 1955، سكيكدة، الجزائر، 2010، ص 50.

[2] Warnier : Algérie devant L'empereur ; Challamel Aine ; paris ; 1865 ; p3.

[3] Roseline Mabrouki: La Construction du Mythe Kabyle ; Diplôme d'Etudes Supérieures. Université D'Alger ; 1975،p17 .

الأماكن الوعرة المنحدرة فهم البرابرة الحقيقيون أو " القبائل" الذين تختلف لغتهم عن لغة العريف الفرق واضح بين اللغتين. فمثلا يقول البربر، للتعبير عن كلمة رجل "ارغاز"، ويسمون الحجر "اذغاغ".[1] ونجد إلى جانبه وارنييه الذي ميز بين ثلاث لغات هي: البربرية للبربر الخلص، والجزائرية للبربر المعتربين، والعربية الدارجة للعرب.[2] هذه التشكيلة العرقية في سباق مستمر، ولا يقارنان بعضهما ببعض أبدا.[3] وهم على خلاف مستمر مع العرب، ويظهر ذلك في القلة متاجرتهم في السهول وندرة تعاملهم مع المدن، وتقام عندهم أسواق أسبوعية في عدة أماكن يقصدها تجار عنابه والقل وقسنطينة. ولا بد لهم إذا أرادوا التردد على تلك الأسواق من اكتساب صداقة أحد سكان الجبل الذي به السوق يصاحبهم ويحميهم، وإذا لم يعتدوا بهذا الحامي لم يؤمنوا الضرر ولم يطمعوا في الإنصاف، إذ ليس من بينهم عارف بالدين ولا قاض ولا من هو على قدر محمود من التعليم.[4]

كما تم تمييز بين القوميتين: العرب من حيث أنه غير متسامح، وصديق الترف، وحياته بدوية، بينما القبايل فهو يحب الموقد المنزلي ومنزله، وقريته، وهو حرفي لا يعرف الكلل، ويحرث ويزرع ويحصد، خلال فصل الشتاء يصبح حدادا، نجارا، ويصنع الأدوات اللازمة لعمله. الصيف أو الشتاء، في الشمس أو المطر، هو لا يهتم أبدا فحياته عمل دائما، أما فيما يخص تنظيم حياته فهو يتبع القانون الطبيعي الخاص بسكان الجبال "ثاجماعث"[5].

---

[1] حمدن بن عثمان خوجة: **المرآة**، تق.تع. تح.محمد العربي الزبيري، منشوراتANEP،2006، الجزائر، ص 15.

[2] أبو قاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، طبعة 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1998، ص 313.

[3] Roseline Mabrouki: op, cit; p 13.

[4] مرمول كربخال: **إفريقيا**، تر عمد حجي وآخرون، ج 1، دن.ط، مكتبة المعارف، الرباط ، المغرب، 1984، ص 16.

[5],Le baron Henri Aucapitaine, Le pays et la société kabyles, Arthus Bertrand, Paris ; 1857 ;p 12.

ومن الاختلافات التي تم استخلاصها أيضا أن العرب كسلي ومتراخين وبطئين ومتمركزين حول ذاتهم ومتحفظين وحالمين وباردين وأقرب إلى الحزن ومتعصبين. أما البربري فهو عامل جاد وميال إلى المبادرة ويمتاز بحس عملي ومتفتح على غيره وحازم وفياض وحيوي ومرح (...) وهو اقتصادي ونزيه وفضولي ومحدود التدين".[1]

أما فندلين شلوصر فيصف القبائلي حيث يقول "يختلف القبائلي، الذي يسكن جبال الأطلس[2]، في بناء وجهه وزيه ونظام حياته وأعماله عن العربي والصحراوي والتركي اختلافا كبيرا، فهو نحيف الوجه، به سمرة تضرب إلى الصفرة، ولباسه قندورة صوفية، وبرنس أبيض ، وحذاؤه خف من الجلد الخام. ويلف ساقيه حتى الركبة بخرق، يربط بها خفه. ويضع فوق رأسه قلنسوة حمراء ، وتحتها قلسونة بيضاء تظهر منها عدة بوصات. أما العربي فهو أبيض الوجه وثيابه أنظف من ثياب القبائلي لأنه لا يعمل بنفسه إلا قليلا"....[3] بالإضافة إلى "لامبير" الذي قال أن البربر أو الأمازيغ أو القبائل أو الشلحة مجتمع متميز عن العرب بلباسهم البسيط وعاداتهم، ولون بشرتهم بيضاء عند البعض وأسمر عند البعض الآخر وهم في هيئة غير ثخينة، وعصبيين وأشداء[4].

---

[1] شارل روبن اجرون:**الجزائريون المسلمون وفرنسا** 1871_1919 ،ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.ص 510.

[2] **أي بلاد القبائل**: يحدها البحر الأبيض المتوسط من الشمال، وادي يسر من مصبه إلى حد آثار جسر بن –هني من الغرب ، ومن الجنوب جرجرة والامتداد الغربي لهذه السلسلة إلى غاية يسر ، ومن الشرق الامتداد الشرقي لسلسلة جرجرة ، حسب الخط التلال عبر الفج المسمى ثيروردة ثيزي اشلاطن ، ثيزي الشريعة ، ثيزي نزبربر ، ثيزي أوكفادو، ثم يتجه نحو البحر على بعد أميال شرق رأس كوربيلان.هذه الحدود هي نفسها بالتقريب الحدود القديمة للفرع الإداري لدلس. أنظرهانوتو ولوتورنو، منطقة القبائل والأعراف القبائلية ، ج 1 ص 25.

[3] فندلين شلوصر: **قسنطينة أيام أحمد باي**(1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو،(ش-و-ن-ت) الجزائر،ص 95.

[4] بلبروات بن عتو:**المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني** .رسالة دكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران،2008/2007، 274_275.

فيما ميز حسن الوزان بين "العرب[1] والقبائل" من حيث اللغة حيث فضل اللغة الأمازيغية عن باقي لغات فيقول:" ... تستعمل لغة واحدة تطلق عليها اسم الأول أمزيغ، أي الكلام النبيل، بينما يسميها العرب البربرية. وهي اللغة الإفريقية الأصلية الممتازة والمختلفة عن غيرها من اللغات".[2] أما من ناحية النظام فيصف لنا ابن خلدون العرب وأسلوبهم في الحياة، بأصعب الأمم للانقياد، وبأنهم غالبا ما يتميزون بالمنافسة في الرئاسة، "... وقل هل ان يسلم أحد منهم لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته، إلا في الأقل" هذا يبين مدى حبهم لسلطة والزعامة،[3] على خلاف القبائلي الذي يحترم رجال العلم وكبير القبيلة، ويخضع لهم طائعا مختارا.[4]

بينما ركز مرمول كربخال في تمييزه بين الجنسين على عاداتهم وتقاليدهم فقال:"... مهما كان الأمر فان زواوة قوم محاربون ذوو نشاط كبير، تفتخر هذه الشعوب بكونها من أصل مسيحي، وحتى يتميزوا عن سائر الأفارقة والعرب فإنهم لايحلقون لحاهم ولا يقصون شعر رأسهم من كل جهة كما يفعل المسلمون. وهم بالإضافة إلى ذلك أعداء ألذاء للعرب ولسائر شعوب إفريقيا،" ثم يقول أنهم لديهم عادة قديمة وهي رسم وشم على خدهم أو يدهم وذلك بالحديد بحيث يشكلون صليبا أزرق. ويقول أن هذا الوشم ليس له علاقة باعتقادهم إنما هو فقط لبيان أصلهم. بينما يعيد مرمول كربخال السبب رسم هذه الفئة لهذا الوشم إلى أن الرومان والقوط عندما كانوا يحكمون بلاد البربر ونوميديا أعفوا المسحيين من كل اتاواة، فكان السكان يدعون مسيحيتهم عندا مجيء الجباة. ومن أجل تفادي مثل هذه الخدعة أمروا

---

[1] أنظر الملحق رقم 1.

[2] حسن بن محمد الوزان الفاسي: **وصف إفريقيا**، تر محمد حجي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983. ص 39.

[3] ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر**، الجزء1، مراجعة د. سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، لبنان، 1981، ص 248.

[4] أحمد توفيق المدني :**هذه هي الجزائر**، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.س، ص ص146_147.

المسحيين الحقيقيين بوشم صليبا على أيديهم أو أوجههم. فقام زواوة برسم الوشم تهربا من دفع الاتاواة، وتمسكوا بمسيحيتهم إلا أن جاء العرب..." لكن مع مرور الزمن اتخذوا عوض الصلبان علامات أخرى حفاظا على ذكرى عراقتهم وشرف أرومتهم.[1]

أما دوماس فتمييزه كان على مستوى عدة نقاط فيقول:" سنقوم في كثير من الأحيان بمقارنة الفسيولوجية بين العرب والقبائل، فالأول له شعر أسود وعيون سوداء، بينما العديد من القبائل لها عيون زرقاء وشعر أحمر، هم عادة أكثر بيضا من العرب، كما أن هذا الأخير له وجه بيضاوي وعنق طويل، على عكس القبائلي رأسه أقرب إلى كتفيه، ومربع الوجه،[2] العربي لا يظهر عليه حالة الغضب إذ يتحكم في نفسه، على عكس القبائلي الذي يظهر عليه فهو مندفع. العربي متكبر ويظهر عليه الاستعلاء. القبائلي يظل يعتريه الحياء، ويظهر ذلك في مختلف، القبائلي عفوي في تصرفاته وليس متصنع، بسيط في تعامله مع الأخرين، على عكس العربي المتصنع في أفعاله وتصرفاته، فمهما كان كرهه للشخص ذو شأن كوزير أو أمين يظهر عكس ما يشعر به اتجاهه من كره، كما نجده هذا الأخير مذلول على عكس القبائلي الذي لا يرضى بالمذلة فكرامته فوق كل شيء وهنا يقص علينا دوماس قصة المرابط الذي كان في سوق بني ورثلان بيوم الجمعة، قام شخص يدعى بن زدام بالتسليم على يده (سعيد مرابط) فلم يوليه اهتماما فتعصب من فعلة المرابط فهدده بالقتل إن لم يعد له اعتباره من خلال طلب السماح. والصفة الأخرى التي تميز بين الجنسين الكذب فالعربي يميل كثيرا إلى الكذب على عكس القبائلي فهو يعتبرها عار عليه. كما يتميز الأول بالخداع على عكس القبائلي لا يطعن في الظهر خاصة في الحرب.[3] العربي يسكن الخيام فهو بدوي في منطقة محدودة،

---

[1] مرمول كربخال:المصدر السابق، ص ص 93-94.

[2] Daumas(M) et Fabar (M), la grande Kabylie étude historique , libraires de l'université royale de France 1847 p p 20 ; 21

[3] ibid, p p34 ; 35.

على خلاف القبائلي[1] يعيش في منزل ثابت على الأرض، قام بناءه بالحجر الجاف أو الطوب غير مطبوخ، يقوم يتثيته بطريقة خشنة، السقف مغطى بالقش.[2]

لم تكن الأسطورة القبائلية تتوقف فقط على اختلاف الموجود بين العرب والبربر. بل تعدت ذلك إلى اعتبار القبائلي متفوق على العربي، من خلال ذكر محاسن الأول وذم الثاني هذا العنصر الذي أثار إعجاب الباحثين منذ القديم وأدهش الناظرين من شعوب العالم بما له من تاريخ ماجد حافل بالأعمال الجليلة. فدفع بالكثير من المؤرخون والجغرافيون منذ العصور القديمة على البحث عن مخصصاته ومميزاته.[3] فتعددت وتنوعت كتاباتهم منها ماتناولت الجانب الروحي، ومنها ما تناولت الجانب الخارجي. منها ما جاء في كتاب ابن خلدون حين قال عنهم: كرماء، أسخياء، شجعان، صعباء الاقتناع، يحبون الحرية إذ لا يتحملون خضوعهم لسلطة بالإكراه، الأمر الذي لا يمنعهم عن طاعة شيخ قبيلتهم، يبدون تعلقهم بأرضهم تعلقا لا يجعلهم ينقطعون عنها حتى ولو ابتعدوا عنها.[4]

وقيل عنهم أنهم شعب عظيم فخور والذي لا يرضخ، كما أنه العنصر الأكثر نقاوة لم يتغير أبدا فهو الممثل الشرعي والقانوني لهذه القارة.[5] كما يتصف بالكرم سخي شجاعة باسل صلب في مواطن الصلابة إلى أقصى حدود الصلابة، شفوق في مواطن الشفقة إلى أقصى دراجات الشفقة، صعب الاقتناع، بحيث لا يأخذ فكرة أو عقيدة إلا بصعوبة، فإذا أخذها وتشبع بها أصبح يقاتل في سبيلها كما يقاتل عن عياله.[6]

---

[1] أنظر الملحق رقم 2.

[2] Daumas(M) et Fabar (M), Op ; cit ; p.22

[3] عثمان الكعاك: **البربر**، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب،2003، ص ص 7_8.

[4] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، جزء 6، المصدر السابق، ص 116.

[5] Roseline Mabrouki : op, cit, p19

[6] أحمد توفيق المدني:**هذه هي الجزائر**، المرجع السابق، ص146.

ويمتاز البربري بتعشق الحرية تعشقا يجعله لا يكاد يحتمل أي سلطان إلا مكرها، والبربري متعلق ببلاده وأرضه يتعشقها ويتوله فيها، ولا يستطيع عليها صبرا أو عنها ارتحالا. يخدم تلك الأرض الصعبة الجبلية لانقطاع وجهد. ... وهو مسلم متين الإسلام له الدين اعتقاد راسخ إنما ضعف الوسط الإسلامي في الجزائر ترك البربري يجهل الدين شيئا فشيئا ومن جملة القيم التي طبعت سلوك الأفراد ظاهرة الكرم. أن الأسر الزواوية كانت تبدي اهتماما كبيرا بالتربية والتنشئة الاجتماعية. [1]

كما أنه مقتصد، جريء، ماكر، برغماتي واقعي، أكثر تحررا اتجاه الدين وقيوده، أكثر تحررا اتجاه التقاليد والضغط الاجتماعي الذي تمارسه المجموعة إيمانه السطحين، وممارسته للمعتقدات الدينية معتدلة وأقل تعصبا[2]،

ونجد أيضا موصفات كثيرة لطبيعة جسدهم، كفرضيات لنظريات عنصرية وجدت لوقت لاحق،ROZET يراهم "متوسطي القامة، وبشرة سمراء، وشعر بني ورطب، وأحيانا أبيض"، واستأنف Baulicour وأكد كثيرا على انه رجل حر ويحب الاستقلالية ولا يتحمل أن يستعبد كما انه معتز بنفسه وديمقراطي.[3]

كما يُعرف عنهم أنهم أشداء ذوو جلد وصبر، شعب محارب بشراسة،[4] شدة الأنفة والغيرة وإبانة الضيم وحماية الجار والذمار والمحافظة على الأعراض...الخ. كما نجدهم في الشؤون

---

[1] أحمد توفيق المدني: **هذه هي الجزائر**، المرجع السابق، ص 147.

[2] فلة بن جلالي: **هجرة القبائل نحوى فرنسا**، دفاتر السياسة و القانون العدد 5 جوان 2011 ، ص ص 7_8.

[3] Roseline Mabrouki : op, cit; p 36

[4] عثمان سعدي: **البربر الأمازيغ عرب عاربة**، دن.ط، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، برج الكفان، الجزائر،2018، ص 65.

الاجتماعية والمدنية من الصنائع والحرف وسائر الأعمال كالزراعة والتجارة والكد والجد من أعمال اليد وبالأخص النظام والثبات في القتال صفا.[1]

بالإضافة إلى أنهم شديدي الحياء والمحافظة على العرض والصبر على الشدائد واحتمال المكاره والكد والجد في سبيل الأسرة والحياة الأهلية والجماعية والعصبية. أما ابن خلدون فوصفهم من حيث مسكنهم ومعاشهم وملابسهم ولغتهم وأخلاقهم فقال على ترتيب: "... يتخذون البيوت من الحجارة والطين ومن الخصاص والشجر من الأشعار والأوبار... ويضمن أهل العزامنهم والغلب لانتجاع المراعي فيما قرب من الرحلة ليتحاوزون فيها الريف إلى الصحراء والفقر الأملس... ولباسهم وأكثر أثاثهم من الصوف. ويشتملون العماء بالأكسية المعلمة. ويفرغون عليها البرانس الكحل. ورؤوسهم حاسرة وربما يتعاهدونها بالحلق... ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها. وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم"[2].

وتخلقهم بالفضائل الإنسانية وتنافسهم في الخلال الحميدة وما جلبوا عليه مرفاة الشرف والرفعة بين الأمم ومدعاة المدح والثناء من الخلق من عز الجوار وحماية النزيل ورعى الذمة والوسائل والوفاء والعهد والصبر على المكاره والثبات في الشدائد وحسن الملكة والإغضاء عن العيون والتجافي عن الانتقام ورحمة المسكين وبر الكبير وتوقير الدين وحمل الكل وكسب المعدوم وقرى الضيف والإعانة على النوائب وعلو الهمة... ومن محاسنهم أيضا الانقياد للعلماء والشرفاء والمرابطين والصلحاء ويحترمونهم ويخدمونهم خدمة خالصة ويلتزمون لهم بالعطايا من أرزاقهم وأموالهم عن طيب نفس رجاء رضائهم بركاتهم.[3].

---

[1] أبو يعلى زواوي: **تاريخ زواوة**، مراجعة وتعليق سهيل الخالدي،الطبعة1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005، ص ص 101-102.

[2] عثمان كعاك: المرجع السابق، ص ص36-37.

[3] أبو يعلى زواوي: المصدر السابق، ص ص 104-105

ومن محامدهم أيضا الصراحة وحسن العهد إذا قالوا أو بايعوا أو عاهدوا وفوا فلا خيانة ولا خداع، ولا يبالون بالقتل في سبيل ما تولوا من الأمور، كذا إطعام البائس الفقير بقواعد ونظاميات خاصة عجيبة بحيث لا يبيت الإنسان الأجنبي عندهم بلا شيء وعنايتهم بالأجنبي أكثر أيا كان وتصرفهم في ذلك منتظم لم يكن عند أمة من الأمم وينزلون الضيوف منازلهم على طريق السنة. كذلك نجد فيهم صفة مميزة تتمثل حسن ترتيب الكلام عند الخصام دعوى وجوابا وإذا تجاوز عددهم اثنان في القضية فلا يتكلم إلا واحد من كل فريق وليس فيهم شيء من عيب أعراب افريقية الذين يتكلمون دفعة واحدة في الخصام فيكثر الوغى حتى لا يكاد الحكم يفقه شيئا. إلى جانب الاجتماع والجماعة وذلك الأمر المدني العظيم الشأن سواء كان الاجتماع للصلاة أم لشؤونهم الدنيوية والحال أن من أسرار الاجتماع للصلاة قضاء مصالح أخرى اجتماعية وترى أهل القرية مجتمعين كلما عرض لهم شان ما.[1]

كما يولون عناية تامة بصلة الرحم والقرابة والنسب والصهر وذوي الأرحام ويعتبرون الملائق النسبة والصدقة بأقل مناسبة ومشابهة ويراعون الوداد وقد كانوا لا يُؤذون قط من ذاقوا طعامه. ومن غرائزهم الروح العسكرية والخدمة الجندية وتاريخهم في ذلك لا يستوفي وبما تقدم من الإشارة كفاية وبقي ذلك فيهم إلى اليوم وقد اعترفت لهم جميع الدول بذلك.[2]

كما يمكن استنتاج بعض الصفات التي تميزهم، فقد يكونون مقتصدون بالنظر إلى مواقع سكناهم، ويحبذون الادخار، يخالطون بما أنهم تجار ولا يختلطون، يتأقلمون داخل المجتمعات

[1] أبو يعلى زواوي: المصدر السابق، ص ص 106_107.

[2] نفسه، ص 108.

الأخرى إذا هاجروا، صبورون على المشاق من أجل كسب المعاش، بينما يمتازون بالحقد وعدم الصبر على الأذى، إذا اعتادوا على الأخذ بالثأر والتحلي بروح الانتقام.[1]

بالإضافة إلى المؤرخ التونسي عثمان الكعاك الذي تحدث عنهم في كتابه البربر فقال:" لهذا الشعب خصائصه الجنسية في طول وصبغة الشعر ولون العين وشكل الجمجمة، كما له عادات خاصة به عائلية وقروية وموسمية ودينية، وله لغته البربرية المتميزة بذاتها المعروفة من قديم ... وله عقائده القديمة الوثنية، وقد تتبع أديان الشعوب التي غزت بلاده لكنه استبقى في العقائد الجديدة كثيرا من عقائده أو أوهامه الوطنية القديمة، ولم يقنع بذلك حتى ميز نفسه بمذهب جديد في كل دين جديد اعتنقه ليكون متميزا عن الشعب الفاتح المكتسح. ومحافظً على خصائص قومية بأي شكل من الأشكال... هذا الشعب متدفق الحيوية مفرط النشاط المتميز بحب أرضه والمتفاني في خدمة تربتها. والمتمَسك بمؤسساته القومية.[2]

أما أحمد توفيق المدني وصفهم: " بقوم أشراف، يدعون أنفسهم " أمازيغ" أي السادة الأحرار، لا يتحملون الخضوع لسلطان، ولا يرضخون إلا للقوة وعلى مضض، يخالطون ولا يختلطون."[3] ويقال عنهم سكان زواوة من رجال القبائل الأمجاد.[4] ويمتازون باستمائتهم في سبيل الحرية. وتعشقهم للاستقلال. فكانوا لا يرضخون أبدا لغالب ولا يجنحون إلى الاستكانة. ولئن خضعوا زمنا تحت سلطان القوة فلقد كانوا كلما بدت لهم فرصة سانحة، ينقضون على أعدائهم. ولهم ولع شديد واقتدار غريب على الاحتفاظ بعوائدهم وإخلافهم ولغتهم فهم في الغالب أصحاب جد

---

[1] فلة بن جلالي: **المسألة "القبائلية" في المجال السياسي الجزائري (من القرن 19 إلى مطلع القرن 21)**، أطروحة دكتورة في العلوم السياسية، جامعة الجزائر3، 2012/2011،ص 221.

[2] عثمان الكعاك:المرجع السابق ، ص ص 7_8.

[3] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1931. ص 6.

[4] أحمد توفيق المدني: **حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا** 1492-1792، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، د.ن،س، ص 140

في العمل. ولهم اقتدار كبير على تحمل الأتعاب، يكرمون الضيف، يحمون اللاجئ إليهم[1]. عاقلين وهادئين ورحمين طالما لم يمسه ضرر ما، لكنه يتحول إلى شخص قاس، إذا أحس أن شخصا ما يريد أذيته[2].

حمدان خوجة يمدحهم من حيث أنهم وطنيون ويتآزرون فيما بينهم في وقت الشدة، أما في كرمهم خاصة لضيوف فيقومون بذبح شاة ويقدم اللحم مع الكسكسى شكل شرائح كبيرة يحظى الضيوف والجيران بحصة الأسد منها. مع العلم أنهم لا يأكلون اللحم إلا في مثل هذه المناسبات، أما فيما يخص العمران، فقد قسمهم حمدان خوجة إلى الأكواخ وهي مبنية بالطين والأخشاب والقصب، مسقوفة بالديس، والمنازل الأخرى مبنية بالحجارة والسقف بالقرميد، وما جلب انتباه الكاتب هو وجود متمورات في القرى الجبلية والتي تستعمل لتخزين مؤنهم خوفا من أن تمتد إليها أيدي اللصوص.[3]

ومحمد أرزقي فراد تناولهم من الجانب السياسي وطريقة تسيير أمورهم فذكر أنهم مجتمع متوازن ومستقيم وذلك يعود إلى الدور الذي تلعبه ثاجماعث من خلال مراعاة شؤون الناس وفق الشريعة الإسلامية والعرف وكذا الانقياد لرجال المرابطين الذين ينشرون العلم ويقومون بإصلاح ذات البين ورأب الصندع بين المتخاصمين.[4]

---

[1] أحمد توفيق المدني: **قرطاجة في أربعة عصور من عصر الحجري إلى الفتح الإسلامي**، دن.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986. ص 18.

[2] Rozet( ) et Carette(E):Algérie , Firmin didot frères édition imprimeurs del'institut ;paris 1850, p 220.

[3] حمدان خوجة : المصدر السابق ،ص ص 56-66.

[4] محمد أرزقي فراد: **إطلالة على منطقة القبائل**، دن.ط، دار الأمل، الجزائر، 2006، ص 126.

وبالنسبة لورنييه فيرى في البربر كل الجنس الأبيض القاطن وسط إفريقية.[1] ومن الناحية العسكرية رأى أن الجندي البربري أكثر مهارة وقدرة على الحملات البعيدة من غيره. وقد أعادنا بالزمن إلى عهد ما قبل التاريخ لما غزا جيش حنبعل أوروبا_ مدينة رومة_ كان من البربر فقط؛ كما أن الرومان ساهموا في استمالة المؤهلات العسكرية، البرية والبحرية، للبربر. بالنسبة للفرسان العرب الذين عبروا المضيق جبل طارق سيتخلون عن مشروع الفتح لولا دعمهم بجيش عرموم من المشاة البربر. كما كان لهم مكانة هامة في الأسطول العثماني بالجزائر فهم من صنعوه بأيديهم وبالخشب مجلوب من زواوة، كما نجد منهم عمال بحارة. لقد كان البربر دائما عسكرا جيدا وبحارة مهرة.[2]

يتميز سكان منطقة جرجرة بالصناعة. فكانوا يستخدمون الطواحين لصناعة الزيت ويرسلون به إلى مدينة الجزائر عن طريق ميناء بجاية أو عن طريق البر. وكان بنوا عباس وبنو يني وفليسه يصنعون البنادق والمكاحل والسيوف والمدافع أيضا. كما اشتهروا بصناعة الأشياء الخشبية والأساور وآخرون بصناعة الأقمشة القطنية، وكان بعضهم يجلبون الحديد وآخرون يصهرونه، ومن الأسر التي اشتهرت بهذه الصناعات بنو سليمان، وبنو موهالى وبنومنقلات.[3]

بينما يصفهم ابن السحنون الراشدي فيقول :" ولم يزل لهذه الأمم البربرية فضل مشهور وباع في المحامد من أول الدهور، ولم ينفك منهم قائم يصادم بهم أعداءه، ويحسم من قطرهم داءه... وكان لهذه الأمة من الأنفة والمنعة والإباية وما كان يمنعهم من الانقياد إلى الملوك، والرضا الدولة، والدخول تحت جناح الذل، فكانوا لا يقرون لملوكهم على قرار، ولا يزالون

---

[1] أبو قاسم سعد الله: **تاريخ الجزائرالثقافي**، ج 6، المرجع السابق، ص 316.

[2] Warnier : Op ; Cit ; pp 12 -21.

[3] أبو قاسم سعد الله: **المحاضرات في تاريخ الجزائر**، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982. ص 153.

يثرون على الحكامهم في سائر الأعصار والأقطار، فلا يقوم لهم قائم إلا وطالبه من خلفه، ولا تتم قوة سلطان إلا والثورة تبشره بضعفه، حتى ضعف الطالب والمطلوب.[1]

ومن الصفات التي أطلقها "ابن خلدون" على العرب أنهم، مفسدين، وفوضويين، وكسالى، ولا يلجئون للحرب إلا للدفاع عن النفس، ومخربين.... فقد لحق بلاد البربر ما لحق بغيرها من الأوطان، التي حل بها العرب وحسب "ابن خلدون" الذي يؤكد أن هناك من نجا من سطوهم بفعل تواجده بالجبال الوعرة، وعجز العرب من الوصول إليها.[2] كما وُصف بأنهم والعرب هم المتزمتون والمتعصبون والمبتعدون عن حضارة الفرنسيين، وأنهم حملوا القرآن في يد والسيف في اليد الأخرى وأنهم بعد أن قتلوا ونهبوا ومروا كالسيل المخرب عبر الشمال إفريقية وإسبانيا، جاء الأمراء البربر ورمموا الخرائب لأنهم إنما قبلوا بالإسلام لوضعه حدا للطائفية المسيحية فقط، ووصفهم بالعامل اضطراب في شمال إفريقيا.[3]

ثم قَدَمَتْ العنصر القبائلي كمجتمع شبيه بالمجتمع الأوربي من خلال إطلاق صفات وخصائص ومميزات تجعل البربر أقرب من المسيحية وإلى الفرنسيين في العرق والسلوك والنظام الاجتماعي من السكان الآخرين[4]. فربط أصولهم بالحضارة الرومانية اللاتينية التي تركت بقاياها فهم من خلال آثار المسيحية الظاهرة على وجوه نساءهم حيث ذكر شلير أنهم ينحدرون من النوميديين. وقد كرر رأي شو الذي اعتبرهم من نسل الوندال.[5]

---

[1] ابن سحنون الراشدي: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح وتق المهدي بوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973، ص ص 454_ 456.

[2] فلة بن جلالي:**المسألة القبائلية**، المرجع السابق، ص 234.

[3] أبو قاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، المرجع السابق، ص ص 313_314.

[4] نفسه، ص 304.

[5] أ . د. أبو القاسم سعد الله: **بلاد البربر في عصر الأنوار**، مجلة الدراسات التاريخية، العدد 10، جامعة الجزائر، 1997، ص 354.

ومن بين الذين روجوا لفكرة "الوهم القبائلي" نجد القس Raynal حيث ركز على الخصوصية البربرية، كاللغة الأصلية والفقيرة جدا، والاستقرار على الأرض لهؤلاء السكان الجليين، والحب الشديد للحرية؛ كما أسس للمواضيع الرئيسية التي سيرتكز عليها الوهم القبائلي لاحقا" الأصل النوردي للبربر، باعتبارهم ينحدرون مباشرة من الوندال، وسيموا الملامح، بعيون زرقاء وشعر أشقر والتدين الفاتر المزعوم المستبدل بإجلالهم للمرابطين، واستقلاليتهم المطلقة التي طالما تنعموا بها"[1]حيث قال أنهم من أصول عرقية شمالية (إنهم نسل من الوندال) وميالين بشدة إلى الحرية: أعينهم زرقاء وشعرهم أشقر) وفتور في عقيدتهم الدينية وانتماؤهم السطحي للإسلام وخضوعهم" لهيمنة المرابطين" ونزوعهم الأبدي إلى الاستقلال،[2] يوم الاستراحة عن المسلمين هو الجمعة أما في منطقة القبائل (الجمعة هو يوم للاجتماع كبار القرية أو ثادرث) إنه يوم الأحد، وهو نفس اليوم عند الأوروبيين، وبالنسبة لهم العمل في هذا اليوم هو جريمة يعاقب عليها قانون القرية.[3] فهؤلاء القبائل، الذين يسكنون الجبال يتمتعون بالقوة، ونظامهم ديمقراطي، يفتحون الأبواب بيوتهم لأي لاجئ من أي جنس كان، ولا يعترفون بأي قانون إلا بالعمل والحرية.[4]

أشاع أفكارا من شأنها تميز العنصر البربري من حيث أنهم ذوي البشرة بيضاء وعيونا زرقاء وشعر أشقر والقبائل شعب أبيض لهم قامة معتدلة، وعضلات قوية بعيدون عن السمنة، ومثلهم مثل غيرهم من سكان الجبال، هم قوم نشطون يتسمون بالحيوية والأدب في المعاملة

[1] د. بلخير بومحراث : **فرنسا الكولونيالية و سؤال الهوية في منطقة القبائل**؛ جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، ص6.

[2] شارل روبير اجرون:المرجع السابق،ص ص 494_496.

[3] Le baron Henri Aucapitaine: Le pays…, Op ; Cit, p 15

[4] Le baron Henri Aucapitaine:Les Kabyles Et Colonisation de L'Algérie, paris ; 1857, p3.

وذو مزاج رائق، والكثيرون منهم بيض البشرة ولهم شعر أشقر ويشبهون الفلاحين من سكان شمال أوروبا، أكثر مما يشبهون سكان بقية مناطق أفريقية[1].

هذه الصفات التي تدل على أن أصلهم نوردي-جرماني، وأن لغتهم شفوية ذات أصل هندوأوروبي، وهم سكان الجبال التي امتنعوا فيها عن مختلف الغزاة، ولهم نظام خاص يشبه النظام الأوروبي، فهم ديمقراطيون في طبعهم، ولهم جماعات وأمناء، وهم يحسنون الزراعة ويسكنون بيوت طينية، نشيطون يحبون لعمل والمنافسة، ولن يرفضوا التقدم والتمدن الذي جاء به الفرنسيون، وفما يخص إسلامهم فهو خفيف بحجة أنهم يعملون بالعرف بدل من القوانين الإسلامية[2] كما ذكر الدكتور وارنييه أن البربر متفتحون على الحضارة الأوروبية وهم الحلفاء الطبيعيون للفرنسيين[3]، ما يجعل منه أكثر قابلية للإدماج وأكثر ليونة للتكيف مع العادات الاجتماعية والثقافية الغربية على مجتمعه الأصلي.[4]

خلاصة الفصل

خلاصة القول أن الأسطورة القبائلية هي فكرة من ابتكار فرنسا تحاول استيعاب سكان القبائل، والتي يعبر عنها على معارضة ثنائية مثل العربي/ القبائلي، البدوي/ المستقر، الدخيل/ الأصلي...الخ. هذه الاختلافات الاجتماعية التي تميز بين الجنسين العرب والقبائل (البربر). تبعد هذا الأخير عن العربي وتقربه من الفرنسي بهدف دمجه بها.

---

[1] وليام شالر :**مذكرة وليام شالر القنصل أمريكا في الجزائر**(1816-1824)،تر.تع. تق.إسماعيل العربي(ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1980، ص ص 114_115.

[2] أبو قاسم سعد الله : **تاريخ الجزائرالثقافي**، جزء 6،المرجع السابق، ص 306.

[3] نفسه، ص 313.

[4] فلة بن جلالي: **هجرة القبائل نحوى فرنسا**، المرجع السابق، ص ص 7_8.

ولكن هل حقا أن فرنسا هي التي ابتكرت هذه الفكرة أم أنها استندت إلى معطيات سباقة، وهي عرفت كيف تستغلها؟.

الفصل الثاني

الفصل الثاني: نشأة الأسطورة القبائلية قبل 1830

2-1 الأرضية المحلية للأسطورة القبائلية

- كتابات ابن خلدون وثنائية العرب والبربر.
- العلاقات المتوترة بين بلاد زواوة و السلطة المركزية.
- صورة القبائلي في المخيال الجمعي المحلي.

2-2 البذور الأوروبية للأسطورة القبائلية.

- كتابات الرحالة.
- مذكرات القناصل.
- تقارير الجواسيس.

المبحث الأول: الأرضية المحلية "للأسطورة القبائلية".

بعد أن تعرفنا على مفهوم الأسطورة القبائلية ومضمونها في الفصل الأول، سنحاول أن نعالج –هنا-جذور هذه الأسطورة وكيفية نشأتها، وستكون البداية بتسليط الاضواء على استغلال الفرنسيين لكتابات ابن خلدون لتوطيد ركائزها.

1_ كتابات ابن خلدون وثنائية العرب والبربر.

من خلال هذا المبحث سأعمد إلى الكشف عن أصول الأسطورة القبائلية، وكيف ساهمت كتابات ابن خلدون في نشأتها وذلك بالاعتماد على ما ورد فيها حول ثنائية "العرب والبربر"؛ إذ يعد المصدر الأساسي الذي يعتمد عليه القارئ إذا ما أراد التعرف عليهما، وعلى ما قد يجمع ويفرق بينهما، والكشف عن العلاقة التاريخية والاجتماعية والسياسية التي تربط بينهما. وتعرف على السبب من ترجمة دوسلان لهذا الجزء فقط من هذا المصدر.

وكذا محاولة التعرف على أصولا لأسطورة "القبائلية"، التي لم تنشأ من العدم،حتى وإن دخلت التاريخ مع حلولا لاستعمار الفرنسي بشمال إفريقيا في القرن التاسع عشر، فأصولها تعود إلى أبعد من ذلك، سيما مع أعمال" ابن خلدون" التي تعد الأرضية التي أسس عليها الفرنسيون "الأسطورة القبائلية" حيث يقول ابن خلدون في مقدمة ما كتب:

"... فأنشأت في تاريخ كتابا رفعت به عن الأحوال الناشئة من الأجيال حجابا وفصلته في الأخبار والاعتبار بابا بابا وأبديت فيه لأولوية الدول والعمران علا وأسبابا وبنيته على أخبار

الأمم... وهما العرب والبربر"[1]، بحسب قوله فإن المغرب عمر من طرف عنصر هما العرب والبربر. وفي تكملة مقدمة يبين لنا ابن خلدون أن البربر هم السكان الأوائل لشمال إفريقيا: " هذا الجيل من الآدميين هم سكان المغرب القديم، ملؤوا البسائط، والجبال، من تلاله وأريافه، وضواحيه، وأمصاره... ولغتهم من الرطانة الأعجمية متميزة بنوعها، وهي التي اختصوا من أجلها بهذا الاسم... والبربرة بلسان العرب هي اختلاط الأصوات غير المفهومة"[2]. وبالتالي فهم السكان الأصليين للمنطقة. ثم في تحديد نسب البربر يذكر: "... وأما نسابة البربر، فيزعمون في بعض شعوبهم أنهم من العرب مثل لواتة...ومثل عمارة زواوة ... وهذه كلها مزاعم، والحق الذي شهد به المواطن والعجمة أنهم بمعزل عن العرب"[3] ثم انتقل إلى القول بأن هناك بعض من البربر امتزجوا بالعرب فعربوهم، بينما انعزل البعض منهم في الجبال، ما مكنهم من الحفاظ على خصائصهم من اللغة والعادات والتقاليد رغم المحاولات المتكرر التي استهدفت محْوَها: " ... وأما بلاد بجاية وقسنطينة، فهي دار زواوة، وكتامة، ومحيسة، وهراوة، هي ديار للعرب، إلا ممتنع الجبال وفيها بقاياهم".[4] ثم يقول: " ... وما تشهد أخباره كلها بأنه جيل عزيز على الأيام، وأنهم قوم مرهوب، جانبهم شديد، بأسهم كثير، جمعهم مظاهرون لأمم العالم وأجياله من العرب"[5]. حيث أشاد بخصالهم وألحقها بالعرب ما يزيد من عزتهه وقوته أمام خصمه. وابن خلدون يطيل في ذكر فضائله، وخصائصه الشريفة الراقية بهم إلى مراقي العز[6]، فقال: " فلهم في ذلك آثار نقلها الخلف عن السلف،" كما أشار أيضا إلى حبهم للعلم ومصاحبة أهله في

---

[1] عبد الرحمن ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، الجزء1، المصدر السابق، ص 8.

[2] عبد الرحمن بن خلدون: **تاريخ ابن خلدونديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوى الشأن الأكبر**، الجزء6، مراجعة د. سهيل زكار ، ص ص 116_117.

[3] نفسه،ص ص 127_128.

[4] نفسه، ص 134.

[5] نفسه، ص 136.

[6] فلة بن جيلالي: **المسألة " القبائلية"**، المرجع السابق،ص 218.

المجالس، وتقلدهم المناصب الرفيعة فذكر بعضهم مثل "بلكين بن زيري الصنهاجي... ويوسف بن تاشفين ملك لمتونة بالمغرب"، كما أنهم حريصين على إقامة العدل بين الرعية وإنصافهم.[1] بينما وصف العرب بالمفسدين والفوضويين والكسالى والمخربين. فكلما دخلوا بلدا إلى عاثوا فيه خرابا فقد قال عنهم:" قد لحق ببلاد البربر ما لحق بغيرها من الأوطان، التي حل بها العرب."

فيما حدثنا عن دينهم فقال: "... وكلما هلكت قبيلة، عادت الأخرى مكانها وإلى دينها من الخلاف والردة، فطال أمر العرب في تمهيد الدولة بوطن إفريقية والمغرب" وقال أيضا: " وصار الملك لسواهم من الأمم الترك والبربر فزادت هذه الخطط الخلافية بعدا عنهم... وذلك أن العرب كانوا يرون أن الشريعة دينهم وأن النبي صلى الله عليه وسلم منهم وأحكامه وشريعته نحلتهم بين الأمم وطريقهم، وغيرهم لا يرون ذلك"[2] فهنا ابن خلدون يشيروا إلى ارتداد البربر عن الدين الإسلام . بل تعدى الأمر ذلك فقد وصف دينهم بالفتور من خلال قوله: "... ورسخت فيهم كلمة الإسلام وتناسوا الردة"[3]. وهنا نلاحظ أن ابن خلدون استعمل مصطلح التناسي وليس النسيان، أي التظاهر بنسيان الردة.

انطلاقا من المعطيات السابقة، أن ابن خلدون حين تحدث عن سكان شمال إفريقيا قد ركز على اثنين منهم فقط ألا وهما العرب والبربر. ثم أعطى إشارة إلى أن السكان الأوائل للمنطقة هم البربر، وما العرب إلاً غزاة دخلوها من اجل نشر الإسلام ثم استقروا بها. لينتقل إلى نسبهم ولغتهم من حيث أنها تختلف عن نسب ولغة العرب، ليواصل ذلك فأشاد بصفات البربر على حساب العرب، وأخير تحدث عن دين البربر ووصفه بالفتور.

---

[1] ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، جزء 6، المصدر السابق، ص 137.

[2] ابن خلدون : **تاريخ ابن خلدون**، جزء 1، المصدر السابق، ص278.

[3] ابن خلدون: **تاريخ ابن خلدون**، جزء 6، المصدر السابق، ص 144.

وبالتالي فإن كتاب ابن خلدون كان بمثابة مفتاح للفرنسيين من أجل التعرف على المنطقة وسكانها من جهة، ومن جهة أخرى حجة اعتمدوا عليها لبناء الأسطورة القبائلية واستغلالها لإقناع البربر باختلافهم عن العرب. فترجمة دوسلان لهذا الجزء الخاص بالعرب والبربر من كتاب الموسوم بعنوان مقدمة ابن خلدون دون غيره من الأجزاء، لم يكن من سبيل الصدفة. فقد ذكر دوسلان نفسه في مقدمة ما ترجمه أن شولز قد أثار الانتباه من خلال مقال نشره بالجريدة الآسيوية 1825م، حول ضرورة الاهتمام بالجزء الخاص بتاريخ البربر والعرب، الوارد في أعمال ابن خلدون. خاصة وأنها تزامنت مع فترة لم تكتمل فيها بعد عملية احتلال الشمال الجزائري، إذ لم يتمكن الفرنسيين من إخضاع بلاد القبائل حتى 1857م.

لقد اكتسبت ترجمة دوسلان شهرة كبير لأنها تناول سكان شمال إفريقيا من ناحية التاريخية وسوسيولوجيا[1]، وأنتروبولوجيا[2] والتي كان الرأي العام الفرنسي في أمس الحاجة إليها. وكذا اهتمامها بتاريخ البربر والعرب دون غيرهما من السكان المنطقة. هذا الأمر جعل من كتاب ابن خلدون مرجع رئيسيا لنظرياتهم المختلفة بعدما نظروا إليها بمنظورهم الخاص وعملوا من خلاله على تقديم صورة إيجابية عن "القبائل" والسلبية للعرب. بغية الوصول إلى هدفهم المنشود والمتمثل في تفكيك شمل هذا الشعب فيصعب عليه مقاومتهم.

وفي الأخير يمكن القول أنه برغم من كون كتاب ابن خلدون يمثل المصدر الرئيسي الأصلي الذي يبين لنا أحوال البربر وعرب في المغرب الأوسط إلا أنه يجب الاعتراف بدهاء

---

[1] سوسيولوجيا:هو علم الاجتماع لدراسة المجتمعات والقوانين التي تحكم تطوره وتغيره.موقع موسوعة العربية الشاملة.mosoah.com

[2] أنثروبولوجيا:هي علم يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظل ثقافة معينة. أنظر د عيسى الشماس: مدخل إلى علم الإنسان (الأنتروبولوجيا)، ص12.

الفرنسيين الذين عرفوا كيف يستفيدون منه، هذا ما يتأكد لنا من خلال ترجمة دوسلان الذي ترجم الفصل الخاص بهم دون غيره من الفصول.

كما تتضح مسؤولية" ابن خلدون" الغير المباشرة في تشييد الأسطورة القبائلية، وإن كان عن غير قصد قد أمد الغرب بالأرضية العلمية، التاريخية، السوسيولوجية والأنثروبولوجية، التي استقر عليها تأسيس "الأسطورة القبائلية"، حتى وإن امتد الفارق الزمني بينهما لعدة قرون، فهو الذي جاء بهذا الطابع الثنائي في سرد خصوصيات البربر والعرب.[1]

2- العلاقات المتوترة بين بلاد زواوة والسلطة المركزية.

القبائل أو كما يطلق عليها تسمية القبائل المستقلة أو الممتنعة التي تعيش في المناطق الجبلية الحصينة كالبابور وجرجرة والبيبان، أطلقت عليها تسمية الممتنعة لكونها ترفض الرضوخ لحكم التركي بحيث حاربته منذ البداية وقد ساعدها على ذلك الجبال التي حصنتها من الحملات العسكرية المتكررة التي كانت الأتراك يشنونها عليها والتي كان الهدف منها إما إخضاعها أو على الأقل إجبارها على دفع الضرائب التي تعد رمز التبعية، وهؤلاء السكان تابعين إما لإمارة كوكو في الغرب أو لسلطة بني عباس في الشرق.[2]

كانت العلاقات بين أهل الزواوة والحكام الأتراك العثمانيين تتميز بالتوتر عموما وعليه فإن فترات الصلح كانت حالات مؤقتة، وهذا بسبب تعلق السكان بحريتهم وقوانينهم العرفية[3]، بالإضافة إلى قضية الضرائب، التي كان لها دور فعّال في التحكم بالعلاقة بينهما فكلما التزام

---

[1] فلة بن جلالي:**المسألة القبائلية**، المرجع السابق، ص 248.

[2] بومولة نبيل: **صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني**(إمارة المقر نيين في القرن 10هـ/16م)، د.ط، دار هومة لطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013. ص 96.

[3] محمد ارزقي فراد : **المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية** (1749-1949)، أطروحة دكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،2010-2011.ص 46.

الطرفان، الإدارة والسكان بواجبهما كلما عرفت البلاد استقرار وازدهار وقوة ورفضهم.[1] وكثيرا ما تنشب حرب بينهم وبين القسم الذي يشرف على البحر من ولاية قسنطينة الذي يقطنه القبائل. لأنهم سادة المنطقة التي تمتد حول خليج عنابه، ومن شدة عداوتهم للترك يعتبرون كل أجنبي يقع في أيديهم تركيا، ولا يكتفون بتجريده من ممتلكاته بل يقتلونه أيضا.[2]

نظرا لأهمية موقع منطقة القبائل اهتم العثمانيون كثيرا بهذه المنطقة، إذ أنها تتوسط بايلك الشرق بدار السلطان وبالتالي فإن الكثير من مصالحهم مرتبطة بهذه المنطقة، ومن هنا اتبع العثمانيون مختلف الوسائل للتحكم فيها ومنها:

1/بناء أبراج عمدت السلطة المركزية إلى بناء الأبراج في المناطق الحسّاسة من منطقة القبائل من أجل التوسع في المنطقة والسيطرة على الأراضي الخصبة التي تعد مصدر رزق لسكان المنطقة. وتضمن إخضاع المناطق الجبلية ومراقبتها، وكذلك تأمين الموصلات بين الجزائر وبايلك قسنطينة. وتثبيت الأقدام العثمانية في نواحي الشرقية، وتأكيد سلطتهم على كل تراب الجزائر.[3] كما تسمح لها هذه الأبراج بمراقبة تحركات السكان حيث تشهد المنطقة حركة بسبب الأسواقالتي تقام كل يوم أو يومين في الأسبوع، وهي فرصة أمام السلطة من اجل استخلاص الضرائب من الفئات الممتنعة عن دفعها، والتي تدل على تبعية للحكومة العثمانية[4] منها: برجي سباو وبوغني، شيّدهما علي خوجة الذي أشتُهر بأنه كان مشيّدا كبيرا، وبرج دلّس

---

[1] أرزقي شوتام : **المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد لعثماني**(1519-1830)، أطروحة دكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006، ص ص142_153.

[2] وليام شالر: المصدر السابق، ص ص 116_117.

[3] نبيل بومولة: المرجع السابق، ص ص103_ 105.

[4] نفسه، ص 94.

وبرج منايل. وكان الهدف منها فرض الرقابة على تحرّكات السكان، وضمان عملية الاتصال من مختلف المناطق، خاصة بين بايلك الشرق ودار السلطان[1].

كان موقف السكان من بناء الأبراج، عدم الرضي بها وبالتالي الهجوم على بعضها ومستغلة بعض الظروف، مثلما حدث في سنة 1755 وقعت معركة في ضواحي بوغني، بين رجال من آث إراثن والباي محمد المدعو الذباح، نظرا للمجازر التي ارتكبها في حق بعض القبائل المستقلة.استطاعوا قتل الباي، واستغلوا الفرصة فاستولوا على برج بوغني وأحرقوه وانتقموا مما فعله الباي في حق بعض القبائل، ويعتبر هذا الحدث إحدى حلقات المجيدة في تاريخ القبيلة[2].

2/إنشاء قبائل المخزن

أنشأ العثمانيون قبائل مخزنية، قصد تدعيم حامياتهم، لان عدد الجنود المرابطين في الأبراج العسكرية المقيمة ببلاد الزواوة قليل، وقد اعتمد العثمانيين في إخضاعهم لأحواض بلاد القبائل مثل أيسر، وسباو، وبوغني، على عدد القبائل، لاسيما قبائل قشتولة التي كانت تشكل رعية حوض بوغني، وقبائل نزوليوة في المناطق العالية من وادي سباو.

وخير مثال على هذه القبائل نذكر قبائل نزليوة في أعالي أيسر، فكان رجالها يشكلون فرق الصبايحية، التي وضعت تحت قيادة برج بوغني، فكانت تتميز بالانتفاضات التي تشعلها، هذا ما دفع الحكم العثماني في الجزائر يشن حملات عسكرية ضدها عدة مرات. وكان أشدها التي

---

[1] علي بن الشيخ : **مملكة كوكو ونظامها السياسي والعسكري**، أطروحة دكتورة في اللغة والثقافة الأمازيغية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2017-2018.ص 206.

[2] نفسه: ص ص 207-208.

أرسلت ضدها في سنة 1800، إثر اعتداء بعض أفرادها على المسافرين في بني عائشة، واستطاع يحي أغا إخضاعها وحولها إلى قبائل مخزنية.[1]

3/الحملات العسكرية: كان الحكام العثمانيون يشنون حملات عسكرية على كل من يحاول الخروج عن طاعتهم، كما حدث ذلك مع مملكة كوكو وآث عباس. وكانت البداية بتلك الحرب التي نشبت بين أحمد بن القاضي وخير الدين في سنة 1520. والحملة التي أرسلها لمعاقبة أخ أحمد أولقاضي الذي قتل، وهذا الحاكم الجديد هو سيدي الحسين، وكان ذلك في سنة 1529.

5/إتباع سياسة فرّق تسد:

اعتمدت عليها السلطة المركزية والتي ترمي إلى القضاء على أي محاولة للإتحاد بين قبائل المنطقة، لكون اتحادها يشكل خطر وتهديد على سلامتها، فتحقق سيطرتها. عملت خلالها السلطة على تشجيع وخلق الفتن بين مختلف الأعراش والقبائل حتى تعرقل المحاولات التي تعارض نواياها. ولكي تخمد كل الثورات التي يحتمل أن تقوم.[2] وخير مثال على ذلك استغلال الأتراك الصراع الذي كان بين الإمارتين كوكو وآث عباس[3]، إذ كان بني عباس يريدون التوسع على حساب الأراضي آل القاضي، دفع بأولاد القاضي إلى خوض عدة معارك معها[4]، ولهذه الأسباب توترت وساءت العلاقات بين الطرفين، وما زاد الطين بلة بظهور

---

[1] على بن شيخ: المرجع السابق، ص ص 208-209.

[2] بومولة نبيل: المرجع السابق، ص ص 98_99.

[3] تقع قلعة بني عباس ضمن سلسلة جبال الونوغة التي أصبح الجزء الشمالي منها يسمى سلسلة البيبان يحدها من الشمال بني عيدل، ويليها من الشرق والجنوب الشرقي كل من قبيلة أولاد نايل وسهل مجانة، أما الغرب تازمالت وبني منصور و الجنوب جبل مزيتة ونوغة. أنظر كيسة بولجت العادات والتقاليد في بلاد زواوة. ص 125.

[4] Diegode Haedo, Histoire des rois d'Alger, Traduite et Annotée: Dergammont, Adolphe joudan, libraire-éditeur, Alger, 1881, p p15-16

العثمانيين في منطقة في بداية القرن 16 م. وأصبحوا يتدخلون في شؤون الإمارتين[1]. وبالتالي فكلما تحسنت علاقات بين العثمانيين ومملكة كوكو، ساءت علاقة هؤلاء مع قلعة آث عباس والعكس صحيح، فكان المستفيد الأكبر من هذا الصراع القائم بين المملكتين هم العثمانيون[2].

يعد هذا الأسلوب المتبع من طرف الأتراك في تعاملهم مع السكان سببا في اتسام العلاقة بين الطرفين بالعداء والنفور وعدم الثقة. إذ كانت تطبق هذه السياسة من أجل إثارة الأحقاد والضغائن بين السكان وتعميق الهوة بين أطرافهم بدفع طرف ضد طرف. ليخلو لها الجو والقضاء على خصومها.بعد فصلهم عن حلفاءهم الطبيعيين. هذه السياسة التي أثارة الحقد وحب الانتقام في قلوب هذه الفئة من السكان.[3]

هذه سياسة التي كان من نتائجها نشوب ثورات في مختلف مناطق،حيث سجل الأيالة منتصف القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر وكانت منطقة القبائل من بين هذه المناطق التي ثار سكانها ضد سلطة الأتراك، وكانت بدايتها بقبيلة فليسه التي ثارت على محمد بن على بسبب رغبته في التوسع إلى غاية سفوح جبال جرجرة لإخضاع آث يترون، وآث واسيف، اتفقت أعراش منطقة القبائل على التحالف مع القبائل الجنوبية، فتجاوزوا - طرفيا - الخلافات السابقة لاسيما بين آث جناد، آث يرثن، قصد إزالة الضغط عليهم، فقامت القبائل الشمالية، القريبة من الساحل بإثارة اضطراب عام1166هـ/ 1752م. تعبيرا عن رفضهم عن هذه السياسة المجحفة في حقوقهم.[4]

---

[1] على بن شيخ: المرجع السابق، ص211.

[2] نفسه،ص ص 211_212.

[3] د. الغالي الغربي: **العدوان الفرنسي على الجزائر** خلفيات وأبعاد، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 1954،ص ص 27-28.

[4] قاسيمي زين الدين: **قيادة سباو؛(تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي)**، د.ط، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2009. ص 104.

في سنة 1767 شهدت الأيالة تمرد قبيلة فليسه للمرة الثانية التي رفضت دفع الضريبة للأتراك بحجة القبض على أفرادها من طرف قائد سباو. فجهز الأتراك حملة من ألف ومائة رجل من الإنكشارية والقوم العرب. وضعوها تحت قيادة أغا العرب والتي انتهت بفشل ذريع.[1] كما تمردت قبيلة أولاد نايل على سلطة باي التيطرى. هذه القبيلة كثيرا ما كانت تتمرد، امتنعت عن دفع الضريبة عدة سنوات، وحاول العديد من البايات إخضاع هذه القبيلة لكنها فشلوا في ذلك إلا ان جاء الباي صفطة. فنظم حملة عليها سنة 1772 لكن أولاد النايل علموا بها قبل وصولها، فتمكنوا منهم.[2] نشبت ثورة بين جرجرة من بلاد القبائل والأتراك1815م والتي يعود سببها إلى قتل بعض السادة من الأسرة المقرانية الشهيرة.[3]

وفي سنة 1819 حدث تمرد الذي قاده محمد أوقاسي. شركت فيه 16 زمالة في عمراوة وجرّت معها زملات واقنون. وفي 1820 قتل محمد أوقاسي من طرف الأتراك.في سنتي 1823 1824 شهد وادي الساحل حركة تمردية واسعة ضد السلطة التركية. وفي 1823 طوقت القبائل القريبة من بجاية سكان هذه المدينة.[4]

3- صورة القبائلي في المخيال الجمعي المحلي.

يعرفهم دوفال في كتابه" l'Algérie Tableau Histoire "هم الذين يعيشون مؤقتا في المدن بعيدا عن بلدهم الأصلي، كالجزائر وقسنطينة وتلمسان ومستغانم ووهران

---

[1] صالح عباد: **الجزائر خلال الحكم التركي**1514-1830؛ طبعة 1، دار هومة، الجزائر،2005، ص 166.

[2] نفسه، ص 167.

[3] عبد الرحمان بن محمد الجلالي: **تاريخ الجزائر العام**. جزء الثاني، طبعة2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965، ص 320.

[4] صالح عباد، المرجع السابق، ص ص224 -225.

غيرها بحثا عن العمل وحياة أفضل[1]،تعود أصولهم إلى بربر الأمازيغ من زواوة.[2] البعض منهم قدموا من جبال كوكو أو بني عباس أين توجد الثلوج على مدار السنة، نجدهم كلهم لونهم أبيض ولونهم كله متقارب، وكلهم أناس فقراء حتمت عليهم ظروف هجرة ديارهم والمجيء إلى مدينة الجزائر، حيث كانوا يقطنون في أكواخ أو غرف للإيجار، ونظرا لسوء المعاملة التي كانوا يتعرضون لها من طرف أهالي المدينة؛ إذ لم يكن معترف بهم، فكانوا يعيشون نوع من تهميش، لذلك أسسوا نقابة من اجل الدفاع عن حقوقهم.[3] بعد تنظيمهم إلى فرق يرأسها أمين[4]. كما أن هؤلاء الأمناء الذين يشرفون على هذه الجماعات مسؤولون في الوقع أمام السلطة المحلية من أجل الضرائب ومراقبة الجماعات التي يمثلونها[5]. من طرف شيخ البلد وهو موظفا مدنيا يشرف على هذه النقابات المهنية والطوائف السكانية، فهو يتصل بأمناء هذه المهن ورؤساء هذه الطوائف ليدرس مشاكلهم ويلبي حاجاتهم عند الضرورة، ويتفهم مطالبهم ويسعى لدى السلطات لإيجاد الحلول لها، وهو مقابل ذلك كان يتسلم من هؤلاء الأمناء الضرائب والرسوم ليودعها في الخزينة العامة كل شهرين[6].

تتميز هذه الفئة بعدم الاستقرار الدائم بالمدينة فتواجدها مؤقت وموسمي وتتحكم فيها ظرفيات معينة، كفرصة العمل المتاحة بالمدينة، وكذلك بظروف التاريخية خاصة في الفترة

---

[1] Jules Duval : L'Algérie ; Librairie de L'Hachette ; Paris ; 1859 ; pp 55_56

[2] عبد القادر بلغيث:**الحياة السياسية و الاجتماعية بمدينة بوهران خلال العهد العثماني**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تخصص تاريخ و حضارة إسلامية، جامعة وهران ، الجزائر، 2013_2014، ص 111.

[3] نفسه: ص 110.

[4] Duval : OP ; Cit p p 55_56

[5] د مصطفى عبيد: **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث (العهد العثماني)**، قسم التاريخ، جامعة مسيلة، الجزائر، ص40.

[6] نصر الدين سعدوني: **ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، طبعة الثانية، دار البصائر، الجزائر، 2009.ص 185.

مابين 1799 و1830 حيث شهدت عدة مناطق من الجزائر قيام ثورات تعبيرا عن رفضها للحكم التركي منها ثورة درقاوية في الغرب، إذ كثيرا ما شهد الأرياف اضطرابات تعود بالسلب على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والتي كثيرا ما تكون سبب في هذا النزوح الريفي الذي تشهده مدن الجزائر. هذا ما يفسر لنا التزايد وتقلص مستمر الذي تمر به هذه الجماعة والذي تتحكم فيه متطلبات سوق العمل، فيتكاثرون في فترات الانتعاش الاقتصادي ويتناقصون في فترات الركود، وكانوا لا يختلطون بالفئات الأخرى التي قدمت هي الأخرى بحثا عن لقمة عيشها، بل يتم توزيعهم حسب انتمائهم القبلي والجغرافي في الحي، علي شكل فرق وبطون وعلى كل فرقة أمين يشرف عليها. [1]

وكانوا وعند مغادرتهم للغابات التي تغطي جبالهم، والنزول نحوى الأماكن القاحلة يتضرعون لدى المرابط الرئيسي لقبعتهم ليرضى عنهم، ويسهل سفرهم. فيتوجهون مثلا إلى المرابط سيدي وشناك الذي توجد مزارته على جبل بين فج الأربعاء وفج فدولس. وهاهو النص حرفيا لدعائهم، كتبه أحد طلاب الناحية:" يا سيدي وشناك، أنا ماشي للقبلة في حماك،إذا رجعت على خير وعافية، نعطيك الوعدة، خبيزه دي بومعرافن، وحد الشميعة وزوج سوردي دي الجاوي"[2].

كانت قوافل تقصد الجزائر من داخل البلاد من جرجرة وأنحاء أخرى من وطن الجزائر، تكون محملة بالفواكه والخضر والزيت وغير ذلك، وفيها من الدواب الحمير والبغال

والإبل وتقف أمام باب عزون وهو الباب الذي كانت تفترق منه الطرق وتدخل منه إلى الفنادق محل نزول المسافرين، وفي حالة وصول القافلة في ليل لا يفتح لها الباب لأنه من العادة أنه

---

[1] عائشة غطاس : **من أجل إعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر**. معطيات مستقاة من الوثائق المحلية، مجلة الإنسانيات، عددان 19_20،جانفي _جوان 2003، ص37.

[2] شارل فيرو: **تاريخ جيجلي**،، تر. عبد الحميد سرحان، د.ط، دار الخلدونية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص 35.

إذا أغلق الباب لا بفتح إلا في الصباح اليوم الذي يليه، وبالتالي تبيت القافلة خارج المدينة الجزائر.[1]

كانوا يكسبون قوت عيشهم بخدمة الأتراك أو الطبقة الغنية. فيذكر غراماي أن الأكثرية منهم كانت تشتغل عن الأتراك والبلدية الأثرياء، فكان البعض يقوم بالخدمات المنزلية في المدينة، وكان البعض الآخر يشتغل في البحَايَر، والجنان بالفحوص. كما مارسوا نشاطات حرفية وتجارية مثل العمل في ورشات الحرفيين، أو بيع الزيت والصابون ولعسل.[2] كما نشطوا البعض منهم في البناء وحرث الأرض وقد اكتسبوا مهارة هذه المهنة في مناطقهم الجبلية التي كان سكانها يعتمدون على بيوت الحجارة بنسبة عالية.[3] أو خدمت القناصل الأوروبيون بأجور زهيدة. ومنهم من مَارَسَ التجارة، الزيت، والفواكه، زبدة، البيض.[4] أو القيام بالحراسة في الليل والاشتغال في بناء السفن وغيرها[5]. ومن النشاطات كذلك التي مارسها أفراد الجماعة والتي كانت على مابيدو حكرا عليهم صناعة لفحم وبيعه، حيث شكلوا جماعة فرعية عرفت" القبايل الفحامين" . وكان بالمدينة سوق خاص بهم عرف بسوق القبايل.[6]

وفيهم من انظم إلى الفرق العسكرية التركية فشكل منهم حسن باشا بن خير الدين فرقة مشاة أو كمحاربين باسم "الزواف" (الزواويون). وكانت السلطات العثمانية تمنحهم رخصا خاصة

---

[1] نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، د.ط، دار الحضارة، الجزائر،2006، ص 146.

[2] أمين محرز: **الجزائر في عهد الأغوات** 1659_1671، دن. ط، البصائر الجديدة لنشر وتوزيع، الجزائر، 2013، ص ص 180_181.

[3] صالح عباد: المرجع السابق. ص 359.

[4]Don Diego De Haedo : Topographiée Histoire Générale D'Algertrad. Monnereau et A . .Berbrugge, imprimé AUALLA Dolid, 1870p p42_43

[5] نصر الدين سعدوني ومهدي بوعبدلي: **الجزائر في العهد العثماني**، دن. ط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984، ص 101.

[6] أمين محرز: المرجع السابق، ص ص 180_181.

للخروج من منطقتهم إلى مناطق أخرى؛ فإذا أحدثوا اضطرابا فإنها تسحب منهم هذه الرخص كعقاب لهم. لذلك كانوا حريصين على إبقاء الأمن.[1] ولا يتقاضون راتبا إلا أثناء الخدمة ولهذا قيل عنهم :" الزواوة مقدمون في البلاء و مؤخرون في الراتب".[2] تخضع تقريبا إلى نفس ترتيبات الإنكشارية من حيث التنظيم، وقد كان أفرادها العزاب يعيشون في ثكنات على شكل وحدات من 200 إلى 300 عسكري. وبلغ عدد زواوة المنخرطين في الجيش حوالي 5,000 رجل من سنة 1621، وانخفض قليلا إلى 4.000 في سنة 1675.[3]

هذه الجماعة " القبائل" بالإضافة إلى الجماعات الأخرى تتميز بأوضاعها السيئة وظروفها الصعبة، فأغلب أفرادها كانوا يعيشون من داخل مهنهم المتواضعة والشاقة والقليلة المردود، مثل العمل بالمرسى ومقالع الحجارة ومعالجة الجير ونقل البضائع وحمل الماء وتنظيف المجاري والسهر على المقاهي والفنادق والحمامات وغيرها. ولهذا كانوا عرضة للإصابة بالأمراض المعدية التي كانت تظهر أولا بينهم قبل أن تنتقل إلى باقي السكان.[4]

وكانوا عند اشتغالهم في المنازل يبدون ذكاء والنشاط والأمانة، الأمر الذي أثار غيرة الأتراك من ذكاء وشجاعة هؤلاء القبائل، فكانوا يمنعونهم من العمل في المنازل، أين كان هذا العمل، وفي حالة سماح لهم بالعمل في المنزل عادة ما يدفع لهم دولارين ونصف في الشهر.[5] كما

---

[1] أبو قاسم سعد الله: **محاضرات في تاريخ الجزائر**، المرجع السابق، ص 154.

[2] صالح عباد: المرجع السابق، ص 486.

[3] أمين محرز: المرجع السابق؛ ص ص 180_181.

[4] نصر الدين سعدوني ومهدي بوعبدلي: **الجزائر في تاريخ**، المرجع السابق، ص 102.

[5] وليام شالر : مصدر السابق، ص ص 116_117.

يمنعون من العمل في المؤسسات العمومية في المدينة.[1] إضافة إلى يدفع ضريبة مقابل إقامتهم في البلاد مقدارها 180 دوبلا أي 350 باتاك.[2]

أصبحوا عرضت للاستغلال سواء من طرف السلطة أو من قبل التجار وأهل الحرف الذين يفرضون عليهم أعمال الشاقة مقابل أجور زهيدة.[3] فعلى الرغم من كون هذه الفئة تمثل مصدر لتزويد العاصمة باليد العاملة. وذلك من خلال العمل في دورها ومخازنها وحماماتها وموانيها ومصابغها ومدابغها.[4] إلا أنها ظلت المحرومة من الامتيازات.[5] بل أحيانا كانت تمنع عنهم الهجرة إلى المدن لأسباب كثيرة منها عدم خضوع بلاد القبائل إلى الأتراك ومنها اتهامهم بتزوير النقود، ومنها خشية الانقلاب، يذكر Bhaller سفير الولايات المتحدة أن الأتراك منعوا دخول البربر إلى مدينة الجزائر والعمل بها لذكائهم ونشاطهم وكانوا يتتبعونهم في كل حركاتهم بالمدينة.[6]

ولم يتوقف الأمر في استغلالهم فقط بل جعلوهم ورقة ضغط في يد الأتراك، يلجئون إليها كلما واجهتهم مشكلة، ففي بعض الأحيان كانت الأتراك يقومون بإيقاف رجال القبائل العاملين قسنطينة أو بالسهول، والاحتفاظ بهم كرهائن، وأحيانا بضرب أعناقهم ومعاقبتهم على الأخطاء المرتكبة من قبل أهاليهم في الجبال.[7] وذكر في سياق وليام شالر: أن هجرة العمال

---

[1] د مصطفى عبيد: المرجع السابق، ص 40

[2] فاتح بالعمري: **الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحالة**، مذكرة دكتورة علوم في التاريخ، قسنطينة، 2016_2017، ص 292.

[3] علي عبد القادر حليمي: **مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830 م**، الطبعة الأولى، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر، 1972 ، ص ص 150_151.

[4] أبو قاسم سعدالله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، جزء 1.المرجع السابق، ص 156.

[5] نصر الدين سعدوني و بوعبدلي: **الجزائر في تاريخ**، المرجع السابق، ص 111.

[6] علي عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص ص 150_151.

[7] شارل فيرو: المرجع السابق،ص 36.

الزواوة إلى مدينة الجزائر كان مرهونا بعقد سياسة الصلح بين الطرفين،[1] وحتى المجتمع الحضري كان في الغالب ينظر شزرا إلي هؤلاء البرانية، فهو يريد تجارتهم وأموالهم وبضاعتهم ويدهم العاملة ولكنه لا يريد بقاءهم في المدينة ومنافستهم وعاداتهم الخشنة التي لا تتفق مع عاداتهم الرقيقة.[2]

لم يكن القبايل والجماعات الأخرى الوافدة إلى الجزائر يحظون بنفس المعامل التي كان يحظى بها الجيجليون، فلم يكن لهم الحق في الملكية أو التمتع بالإقامة. حيث كان القبايل يلجئون إلى الأفران ومقالع الجير بي باب الوادي. كما يتوجهون إلى ضاحية باب عزون، إذ كان ربض باب عزون منذ القرن السادس عشر محطة للقادمين من الفحص ومن المناطق الداخلية.[3] في هذا صدد يقول هايدو: "لا يوجد خارج الأسوار، سوى ضاحية تضم خمسة وعشرين مسكنا مقابلة باب عزون. وتستعمل هذه المنازل وتوابعها كمركز إيواء للفقراء والمعوزين؛ وللجلابين الذين يتاجرون في بيع المواشي. وكانت أيضا موضعا الإقامة الفرانين الذين يعملون في الفرن."[4]

كل هذه العوامل كانت بمثابة أرضية خصبة استغلتها فرنسا لزرع بذورها فيها، من خلال الدراسات التي قام بها قناصلها وجواسيسها المتواجدين في الجزائر تلك الفترة. حول أحوال سكان المنطقة، مركزة على العنصر القبائلي.

---

[1] محمد أرزقي فراد، **المجتمع الزواوي**، المرجع السابق، ص 46.

[2] عائشة غطاس : **حرف وحرفيون بمدينة الجزائر** 1700-1830(مقاربة اجتماعية اقتصادية)، رسالة دكتورة في التاريخ الحديث، الجزء 1، جامعة الجزائر 2000-2001. ص 28.

[3] نفسه، ص410.

[4] Haedo : topographie ; Op, cit, p 433

المبحث الثاني:البذور الأوروبية للأسطورة القبائلية.

بعد أن اطلعت فرنسا على أحوال سكان الجزائر خلال العهد العثماني وسياسة فرق تسد التي اتبعت من أجل ضمان استمراريتها في الحكم عمدت إلى تطبيق نفس سياسة من أجل توطيد دعائمها طيلة الاحتلال وذلك بمحاولة خلق النزعات الإقليمية، وتشجيع الروح القبلية. ولكي تنفذ فرنسا مخططها هذا[1]، كان يستدعي الأمر دراسة معمقة وشاملة لبناه الفكرية والاجتماعية والسياسية والدينية؛ قامت بإرسال بعثات الاستكشافية قامت بها جماعة من البحارة والمغامرين والقناصل وتقارير الجواسيس الذين ألفوا الكثير من الوثائق والنصوص حول طبيعة سكان المنطقة وأسس تنظيماتها الاجتماعية. مركزين في ذلك على منطقة القبائل وسكانها. وكانت البداية ب:

1-كتابات الرحالة.

كانت أولى الرحالات الأوروبية التي شاهدتها الجزائر خلال هذه الفترة قبل 1830 رحلة التي قام بها "بايسنال "peysssonal في سنة 1725م، وكذلك شاو Shaw الذي ترك هو الأخر كتابات هامة حول الجزائر بين 1720 و1752[2]. بغرض إحكام السيطرة عليه.فكانت أولى الدراسات أو بالأحرى التقارير التي قُدمت حول الجزائر وبالخصوص حول منطقة القبائل لاستكشاف البلاد والعباد. ففي تقرير للرحالة Peyssonal قدمه في 19 جوان 1725 يقول:" مررنا عبر ثلاث قرى عصرية يسكنها "عرب" يسمون (القبائل)، ليس لها لا زعيم ... ولا قائد عسكري، كل واحد منهم سيد وحر في اختياراته، وهم في غالب الأحيان "

---

[1] خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية في الجزائر** 1830_1871، دن ط، دار حلب،الجزائر،1977، ص 137.

[2] مبروك موهوب: **التنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل وأثره في صمود سكانها ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية المنتهجة فيما** (1857-1914)، مذكرة ماجستير في تاريخ المقاومة الوطنية والثورة التحريرية،جامعة الجزائر2، بوزريعة، 2010-2011، ص ص35_36.

لصوص" أو بالأحربحيوانات ضارية تسكن تلك الجبال ... والزواوة ليسوا إلا (قبايل)، أو هذا الصنف المتوحش وهم رجال لا يروضون" أما الرحالة (Desfontaines) فيصف أحوال جبال جرجرة وحالة اللاأمن التي تسود فيها في تقرير بعثه في 18 سبتمبر 1785 بقوله :" لكي لا نعرض أحدا من قافلتنا للسرقة من طرف قبائل جرجرة الذين لا يروضون ... والعرب (وهو يقصد القبائل) هنا عدد كبير من القرى... وهم يقاتلون بشجاعة ولا يدفعون شيئا للأتراك ويسلبون القوافل[1].

ج.أو. هابنسترايت:هو رحال وطبيب وعالم ألماني مختص بعلم النباتات درس الطب في شبابه بجامعة بينا Bena، واستقر بلايبريغ Leipzig . فكلفه ملك بولونيا برئاسة بعثة علمية إلى شمال إفريقيا لتعرف عن كثب على نباتات وحيوانات تلك المنطقة، وذلك خلال القرن 18م[2].

وتعد رحلة هابنسترايت من أهم مصادر القرن الثامن عشر رغم قصر الفترة التي قضاها الرحال في المغرب الغربي عامة والجزائر خاصة، حيث قدمت معلومات حول التركيبة الاجتماعية لمدينة الجزائر فذكر أنها تتكون من الأتراك وهم الحاكمون وأنهم ينظرون نظرة احتقار للجزائريين ويصفونهم بالعُصاة والخارجين عن القانون، كما تطرق إلى فئة القبائل حيث يقول" أما رجال القبائل المستقرون لمزاولة الزراعة الذين يعيشون في الريف بعيدا عن المدينة فيتمتعون بحرية كبيرة، وهم ينقسمون إلى قبائل وعشائر"... ثم يقول" أما العرب الذين يقطنون نواحي الأطلس، فهم لا يعتبرون من الرعايا الخاضعين، إذ يتصدون لجند المحلة عندما يتوجه إليهم" وهنا الرحلة وقع في لبس إذ لم يميز بين العرب والقبائل فالسكان الذين يسكنون الأطلس

---

[1] د. بلخير بومحراث : المرجع السابق، ص ص 3_4.

[2] ج.أو . هابنسترايت: **رحلة العالم الألماني ج .أو.هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطربلس1145هـ_1732م**، تر د ناصر الدين سعدوني، دار العرب الإسلامي، تونس. ص ص12_16.

هم القبائل وهي الفئة الوحدة الغير الخاضعة للسلطة الأتراك.[1] ثم يصف لنا هابنسترايت جبال فيقول: "وهي سلسلة الأطلس الصغير التي تصل في امتدادها حتى الصحراء، وقد كنت مبتهجا أن أشاهد لأول مرة الأطلس الصغير بصخوره التي لايمكن اجتيازها في العديد من الأماكن." وقد سافر هابنسترايت في هذه المنطقة رفقة محلة في 27 أبريل من بليدة نحو الجبال، حيث كانوا يقضون ليليهم في بيوت العرب الذين يخرجون من ديارهم ليبيتوا فيها[2].

مارمول كربخال: تطرق إلى وصف جبال القبائل من حيث أنها تحمل أسماء القبائل التي تسكن بها من البرابرة وزواوة، وأرضها طيبة رائقة كثيرا الزرع والمواشي، وسهول وأوديتها كثيرة الخصب تغل كثيرا من الزيت والتين وغير ذلك من الثمار التي تتزود منها جميع المدن المجاورة، كما يتزود منها عرب البوادي...وهم أناس مياسير لهم حرص شديد على حريتهم، ليؤدون الإتاوة إلا إذا خرج أليهم عسكر الملك في طلبها.... وهم معرفون بالشجاعتهم في القتال، ولو أنهم اتفقوا في اليوم من الأيام لكانوا قادرين على غزو جزء عظيم في إفريقيا[3].

بعد أن اطلعت على تقارير هؤلاء الرحال عملت على إصدار قرارات للقناصل من أجل رصد مختلف المعلومات حول منطقة القبائل، وعلى ضوء ذلك ظهرت دراسات ومشاريع التي اهتمت بهده المسألة "الأسطورة القبائلية" نذكر منها[4].

---

[1] هابنسترايت: المصدر السابق، ص ص 32_33.

[2] نفسه، ص ص 59_61.

[3] مرمول كربخال: المصدر السابق، ص 16.

[4] خديجة بقطاش:**الحركة التبشيرية**، المرجع السابق، ص ص 137_138.

2_مذكرات القناصل

لما كان القنصل على اتصال وعلاقة مع الناس والبلاط، فأنه مهيأ لجمع معلومات كثيرة عن البلد المقيم فيه، لذلك يسعى لنقلها لحكومته إرضاء منه لها. وأيضا لأن هذا من مهامه... فهو مطالب بإعلام مسؤولية في نهاية كل سنة بالأعمال التي أنهيت، والتي لم تنته بعد، ويقوم القنصل بنقل أخبار البلد المقيم فيه في مختلف ميادين الحياة عن الصحة، الجو، العادات، الأوضاع الاقتصادية، والأوضاع الاجتماعية وغيرها.[1]

مشروع كارسي الأول والثاني عام 1782:عينته الحكومة الفرنسية قنصلا في الجزائر عام 1782[2]، حيث سمحت له إقامته بالجزائر، والتي دامت ما يقارب الثماني سنوات أي إلى غاية 1791، من التعرف على العديد من الجوانب المجتمع الجزائري، والوقوف على مواطن الضعف، والتي منها المسألة البربرية.

لقد رأى كارسي جون باتيست ميشال غيوت أنه من الضروري والواجب كقنصل وفي إطار عمله لمخابراتي أن يعلم حكومته بكل أوضاع الجزائر الداخلية منها والخارجية، فكانت أول مبادرة قام بها هي جمع معلومات وافية عن الأوضاع الداخلية. وركز كثيرا على ضرورة الأخذ بعين الاعتبار استمالة العنصر البربري لتسهيل مهمة الجيش الفرنسي في الاحتلال، وضرورة تكوين نظام من السكان البربر لارتباطهم الديني بالمسيحية، وتخليصهم من الحكم التركي الجائر، الذي لم يكن في واقع الأمر إلا حكما مسلما.[3] أما في مشروعه الثاني فلقد

---

[1] بركاهم دهان : **دور القناصل الفرنسيين في العلاقات الجزائرية الفرنسية 1689_1789**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، الجزائر، 2012- 2013. ص 16.

[2] بنور فريد: **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر 1782-1830**، د.ط، دار الواحة، دن.م، 2009، ص 20.

[3] بوضرساية بوعزة: **السياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830_1930 وانعكاساتها على المغرب العربي**، دار الحكمة، دن. م، دن. س، ص 23.

احتل العامل الإثني (العرقي) حيزا لأبأس به من مشروع كارسي الثاني، وقد حصر هذا الاهتمام في السكان البربر دون غيرهم من السكان العرب[1]،

جيمس ويلسن ستيفن: تحدث عن السكان الأصليين للبلاد فيقول: "بربر أقدم سكان البلاد، وانقسموا إلى العديد من القبائل تحت قيادة شيوخهم على التوالي، وأقام الجزء الأكبر منهم في أجزاء من الجبال. وفقد حافظوا على أنفسهم من التمازج مع الأمم الأخرى. ويعرف البربر أنهم أكثر ثراء من الجميع. وهم لأكثر من غيرهم في التجارة الأنعام والجلود والشمع والعسل والحديد، وسلع ولهم بعض الصناعات الحديدية.وقد أطلق عليهم الأوربيين تسمية "Azuagues" أو "Assagues "، وتفرقوا في أنحاء البلاد.[2]

Venture de Paradis: أقام في الجزائر سنة 1788 تم تكليفه بتسوية الخلاف الذي كان قائم بين الدولة الجزائرية والحكومة الفرنسية، وكان من بين المهتمين بدارسة البربريات، حيث قام تأليف معجم dictionnaire de la langue وذلك سنة 1787 ونشر 1844 قد صحبه بشروحات بالغة الفرنسية، وهذا الاهتمام بلغة البربرية يعود إلى المعرفة الواسعة التي تحصل عليها أثناء إقامته في الجزائر. وهكذا بقي دي برادي أحد منظري المسألة البربرية قبل الاحتلال من خلال ما ألفه حولها من الدراسات تصب كلها في الطرح البربري بكل جوانبه.[3]

---

[1] بوضرياسة بوعزة: المرجع السابق،ص ص 27_28.

[2] جيمس ويلسن ستيفن: **الأسرى الأمريكان في الجزائر** 1797/1785، تر علي تابليت، دن.ط، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر 2007.ص ص141-151.

[3] سعيدي مزيان:**السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموقف السكان منها**1871-1914، دن.ط، الجزء1، وزارة الثقافة، الجزائر، دن، س،ص 275.

مشروع جون بون سانت أندري 1802:[1] أرسل إلى الجزائر عام 1802م طرح بعض الجوانب المسألة (الأسطورة القبائلية) من الناحية الاجتماعية، حيث بدأ بتقسيم سكان إيالة الجزائر إلى أربع فئات اجتماعية مختلفة ... فعرج على فئة المتمثلة في السكان الأصليين وقد أطلق عليهم اسم القبائل بصيغة الجمع دون أن يذكر العرب بل قال عنهم أنهم يشكلون أكبر نسبة في المجتمع الجزائري بالنسبة للسكان الأصليين ورغم وضعيتهم المأساوية، ومعاناتهم من جور الحكام العثمانيين، فإنه من الخطأ الظن أنهم سيرحبون بالفرنسيين إذا ما حاولوا احتلال الجزائر، بل العكس تماما فهم يكرهون كل من هو مسيحي بسبب تعصبهم الديني، لكن بالمقابل هناك فئة من السكان الأصليين، وهم القبائل مستقلة فالجبال لهم لغتهم الخاصة بهم، ولهم خصوصياتهم الاجتماعية، يمكن الاعتماد عليهم.[2]

مذكرة وليام شالر: والشعب الذي يستحق أكبر العناية من الدارسين لهذا القسم الشمالي من أفريقية، هو شعب القبائل، الذي كان عبر التاريخ يحافظ على استقلاله من الحكومة الجزائر.... وتسمية "القبائل" مشتقة من كلمة العربية "قبيلة" (جمع قبائل). وهذه التسمية تنطبق على وضع القبائل السياسي، فهم يعيشون في الجبال، في الأطلس الكبير وفي مختلف السلاسل التي تتفرع عنه والتي تحمل أسماء عربية مثل بني سنوس. وبني زروال وبني زواوة وبني عباس. وسكان كل منطقة من هذه المناطق الجبلية يشكلون دولة أو جمهورية، مستقلة عن غيرها من المناطق[3].

---

[1] ولد يوم 25 فيفري 1749 بمدينة مونتوبون في جنوب فرنسا، نتيجة تربيته الدينية أصبح راهبا بروتستانتيا، كان محبا للمغامرات في البحر، لكن تخلى عن عنها بسبب غرقه ثلاثة مرات، بعد توليه عدة مناصب في الجانب الإداري وحتى العسكري، عين كقنصل على الجزائر سنة 1796 بعد لفاليير. لفطنته وحنكته ونزاهته أنظر: بنوار فريد: الجواسيس الفرنسيون في الجزائر، صص 219_220.

[2] بوضرساية بوعزة : المرجع السابق، ص 35.

[3] وليام شالر : مصدر السابق، ص 113.

3- تقارير الجواسيس.

كما اعتمدت فرنسا أيضا على تقارير الجواسيس التي لها إسهامات كبير كغيرها من التقارير التي جمعتها من أجل الوصول إلى غايتها المنشودة، من أهم:

مشروع الجاسوس بوتان عام 1808: يعتبر مشروع الضابط بوتان[1] من أهم المشاريع الاستعمارية التجسسية التي وضعت عن الأيالة الجزائر في القرن التاسع عشر[2]. فقد عرج في مشروعه هذا لتقديم النصح للقائمين علي الحملة بضرورة إقناع السكان بتقبل الاحتلال الفرنسي، خاصة بالنسبة للمناطق التي كانت متمردة في الجبال على النظام التركي، لذلك كان مع فكرة خلق طبقة من العملاء من السكان الأهالي، ووقوفه على فئة البربر كقبائل تقطن الجبال لم يكن اعتباطيا، إنما يدخل ضمن الإستراتيجية المستقبلية بالنسبة للسياسة الفرنسية في الجزائر، إذا ما كتب النجاح للحملة العسكرية، لذلك جاءت دراسة السكان واللغة وتحديد مناطق تواجد الفئات الاجتماعية، وتباينها الاجتماعي ضمن كل المشاريع لما لها من أهمية في تحقيق هذه السياسة القائمة على مبدأ فرق تسد.[3]

مشروع تيدنا عام 1802:[4] تعرض تيدنا للأسر بعد ما تم القبض عليه على مت سفينة إسبانية التي كانت على عداوة مع الجزائر[5]. أعد تيدنا مشروعه بعد قضائه فترة طويلة في

---

[1] أنظر الملحق رقم (3).

[2] د. الغالي غربي:المرجع السابق، ص 75.

[3] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق،ص ص39-42.

[4] ولد سنة 1758 في يوزيس لانغدوك من عائلة كاثوليكية ميسورة الحال. ومنذ صِباه عملت أسرته على أن يكون من عليه رجال الدين، رغم محاولة أهله إلا انه رفض الدخول في الحياة الدينية، ثم انظم لفيلق الحامية العسكرية في كورسيكا. فقد مارس تيدنا مهنة نقل براميل الخمر من مالا فا إلى مرسيليا عن طريق السفن الإسبانية. أنظر(**د.عميراوي احميد: الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني، مذكرة تيدنا نموذجا**.ص ص 32-43.)

[5] د.عميراوي احميد: **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني**، مذكرة تيدنا نموذجا، دن.ط، دار هدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003. ص ص 32_43.

الجزائر قاربت العشرين سنة، استطاع خلالها من التعرف على أوضاع الجزائر، والوقوف على العديد من جوانب المجتمع الجزائري، وقد تمكن من إتقان لغة السكان وهي اللغة العربية إلى جانب التركية، وحتى اللهجات المحلية. فركز هو الأخر كغيره من الجواسيس على ضرورة تكوين فئة اجتماعية موالية لفرنسا، بل ذهب إلى أكثر من ذلك وهو إنشاء نظام حكم في الجزائر من العملاء يكون من السكان الموالين لفرنسا، ومعادين للأتراك، ومع ذلك فإن الإشارة في هذا المشروع بسيطة في الجانب الاجتماعي، وطرحه فكرة خلق فئة اجتماعية موالية لفرنسا، قد يكون بعدا دينيا مسيحيا، وبالتالي فإنها نظره أقرب للفرنسيين من غيرهم من فئات المجتمع الأخرى.[1]

لـوبير لوفاشـي: وهو أحد رجال الدين الفرنسيين الذي كان مقيما بالجزائر يظهر مساعدات العبيد المسحيين. ويبطن الجوسسة. ولما كانت الحملة 26 يونيه 1683 اطلع سكان مدينة الجزائر على خبثه لذلك أدخله الأتراك فوهة مدفع ثم رموه قذيفة.[2]

خلاصة القول هي أن فرنسا لم تخلق هذه الفكرة من العدم بل اعتمدت في ذلك على الكتابات العربية التي تناولت هذين العرق"العرب" و"القبائل"خاصة منها كتاب ابن خلدون الذي تطرق إلى أدق التفاصيل حولهم فتخذها كأرضية نصبوا أعمدتهم عليها لبناء " نظرياتهم وتطويرها فيما بعد لما يخدم مصالحهم. بالإضافة إلى استغلال تواجد أتباعها من القناصل والرهبان والجواسيس والأسرى للبحث أكثر حول المجتمع الجزائري واستخلاص أهم الاختلافات التي تميز بين الجنس كقوة يمكن استغلالها لإضعاف وحدة المجتمع الجزائري. الأمر الذي تطلب دراسة عن قرب أكثر لتطوير هذه الأسطورة، والذي عملت عليه فرنسا لما احتلت الجزائر بعد 1830إلى غاية 1857.

---

[1] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق،ص ص 36- 37.

[2] علي عبد القادر حليمي: المرجع السابق، ص 172.

الفصل الثالث

الفصل الثالث: تطور الأسطورة القبائلية بين 1830 إلى 1857:

المبحث الأول: التنظير للأسطورة القبائلية من خلال الأدبيات الفرنسية.

1 – أهم الكتابات التي تناولت الأسطورة القبائلي.

2- عرض الأسطورة القبائلية من خلال محتوي بعض المؤلفات.

المبحث الثاني: مساعي الإدارة الكولونيالية لتكريس الأسطورة القبائلية في منطقة القبائل.

1- تسخير العرف لخدمة الأسطورة القبائلية.

2- السعي إلى تهميش العنصر الديني.

المبحث الثالث: الكنسية الكاثوليكية والأسطورة القبائلية.

1- إسهام في تشويه التاريخ الديني للمنطقة.

2- نماذج كنسية من مروجي الأسطورة القبائلية.

المبحث الأول: التنظير للأسطورة القبائلية من خلال الأدبيات الفرنسية:

اكتسبت الأسطورة القبائلية مكانة معتبرة في المؤلفات الفرنسية التي تناولت تاريخ الجزائر الحديث خلال فترة الممتدة ما بين 1830 إلى 1857، إذ أثارت اهتمام الكثير من المؤلفين الفرنسيين بمختلف تخصصاتهم، الذين لم يتركوا شأن من شؤون القبائل إلا وكتبوا فيه. فلا نكادوا نجد واحدة لم تتطرق لها، مركزة على الاختلافات التي قامت عليها هذه الأسطورة والتي منها عرب/بربر، بداوة/ استقرار، أصول سامية/ أصول جرمانية، تقاليد استبدادية/ تقاليد ديمقراطية، قمع المرأة/ احترام المرأة، تعصب ديني/ إيمان فاتر، كسل/ حب العمل، رجل أسمر/ رجل أشقر،...الخ[1]. مستهدفة القبائل بشكل خاص ومحاولة إدراجهم ليس ضمن الدراسات الاجتماعية الإثنية فقط،وإنما ضمن الدراسات الدينية على أنهم مسيحيون قدامى. وهي الفكرة التي تم الترويج لها بشكل مكثف بحكم سيطرة الكنيسة خلال الفترات التي سبقت الاحتلال الجزائر على الوضع السياسي والثقافي والاجتماعي ليس في فرنسا فقط وإنما في العالم المسيحي بصورة عامة[2].

إن الأدبيات الفرنسية التي عالجت الأسطورة القبائلية في معظمها تطرقت إلى القبائل كجنس اثني وإلى لهجاتهم، ومن جهة أخرى ركزت هذه الأدبيات على ضرورة إبراز خصوصيات القبائلي التي تميزهم عن العنصر العربي، وحتى اعتبار إسلامهم إسلاما سطحيا وأن تنظيمهم الاجتماعي يسهل فرنسته، وعليه لابد من التركيز على أعرافهم

---

[1] Patricia M ; E, Lorcin : Kabyles, arabes, français ; Identités Coloniales, Traduit par Loïc Thommeret p 12 .

[2] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق، ص 9-10.

وعاداتهم وتقاليدهم. فبرزت عدة مؤلفات وكتابات أولت اهتماما بالغا للأسطورة القبائلية من أهمها:

1 - أهم الكتابات التي تناولت الأسطورة القبائلية ومعاصرة للفترة 1830 إلى 1857:

احتلت الأسطورة القبائلية الصدارة والريادة في المؤلفات الفرنسية حيث ركزت عليها وعملت على جعلها أمرا واقعيا، فاحتلت حيزا مهما وبارزا فيها ومن هذه الكتابات نذكر: ما ألفه روزات عام 1833 بباريس تحت عنوان " الرحلة إلى الجزائر" Rozet : voyage dans la régence d'Alger ou Description du pays occupé par l'armée française"، تناول فيه دون تحفظ موضوع البربر، وقد ذكرهم باسم " القبائل" وهي التسمية التي تغطت تقريبا على هذا النوع من الكتابات، وفي عام 1839 قام المسافر Bolle بكتابة مذكرة تحت عنوان Souvenirs de l'Algérie تناولت موضوع القبائل خاصة أصلهم حيث قال: " القبائل الأكثر روعة من بين جميع الأهالي ... هم مؤلفون فقط النوميديين القدماء، الشعوب التي لا تقهر"[1]. كذلك الكتاب الذي ألفه والسن استرهازي Walsin Esterhazy عام 1840 تحت عنوان السيطرة التركية على إيالة الجزائر القديمة، La Domination Turque Dans L'Ancienne Régence D'Alger الذي استمر على نفس المنوال[2]. وفي نفس الإطار نجد روتاليROTALIER صاحب كتاب تاريخ الجزائر والقرصنة التركية في المتوسط، Histoire D'Alger et La Piraterie Des Turques Dans la Mediterannee الذي ألفه عام 1841. وألف كلوزولClauselles كتابا

[1]Ageron (ch. R), la France a-t-elle eu une politique kabyle, Revue Historique t 23 ; Avril ; Juin 1960 ;p 313.

[2] بوضرياسة بوعزة: المرجع السابق، ص 61.

بعنوان الجزائر المثيرة أو تاريخ إيالة الجزائر، منذ أزمنة الغابرة، إلى أيامنا، عام 1845 L'Algérie pitoresque ou histoire de la régence D'Alger depuis les temps recules jusqua nos jour، وانتهج في تأليفه هذا كتاب نفس منهج سابقيه[1]. وهناك أيضا تأليف السيد بوديشون BODICHON الذي جاء تحت عنوان " دراسة عن الجزائر وإفريقيا Étude sur L'Algérie et l' Afrique وطبع بالجزائر عام 1847، هذا إلى جانب مؤلفات أخرى جاءت أكثر دقة في تناول الأسطورة القبائلية، منها القبائل الكبرى، دراسات تاريخية، La grande Kabylie لمؤلفيه فابار ودوماس الذي طبع سنة 1847[2]. كما ألف هذا الأخير مجموعة من الكتب منها Mœurs et coutumes de l Algérie[3] "بلاد القبائل الشرقية" صدر سنة 1846 وتقرير عن الوضع الحالي للمجتمع العربي صدر سنة 1845 كما صدر لدوما كتاب آخر في سنة 1857 عن "القبائل"[4]، أيضا كتاب بعنوان "القبائل" LA KABYLIE للسيد لامارك LAMARQUE الذي طبع سنة 1845، بالإضافة إلى الكتاب الذي ألفه لويس دي بوديكور LOUIS DE BOUDICOUR تحت عنوان أهلي- الأتراك والعرب والقبائل. ونجد أيضا ليوريل (j. Liorel) الذي تمكن من تأليف كتابه الموسوم ب " Kabylie du jurjura "، Aucapitaine في كتابه الشهير "Le pays et la société kabyles الذي صدر سنة 1857. كذلك ظهرت كتابات القس دان Le père DAN وكان من أشهره " تاريخ البلاد البربرية وقراصنتها ومماليك ومدن الجزائر وتونس وطرابلس".

---

[1] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق ، ص 61.

[2] نفسه، ص 62.

[3] انظر كتاب Daumas Eugene : Mœurs et coutumes de l Algérie.

[4] د. همال عبد السلام،المرجع السابق، ص 27.

وبالعودة إلى محتوى هذه المؤلفات التي تناولت الأسطورة القبائلية سنتطرق إلى بعض منها كنماذج ساعدت في التعرف أكثر على الواقع الاجتماعي لمنطقة القبائل من العادات والتقاليد.

2 - عرض الأسطورة القبائلية من خلال محتوي بعض المؤلفات:

سنحاول أن نعرض الأسطورة من خلال محتوى بعض النماذج من هذه الأدبيات التاريخية ونبدأها بكتاب السيدان دوماس وفابار الذي يحمل عنوان القبائل الكبرى فقد تطرق الضابطين في كتابهم هذا لعدة قضايا كجغرافية المنطقة وقصة احتلال الفرنسيين لبجاية، كما لم يهملوا الجانب الاجتماعي وحالة المجتمع القبائلي، أين تطرقا إلى عادات وتقاليد ومؤسسات هذا المجتمع. فيما ركزا الباحثان على التناقض بين العرب والقبائل في كل شيء مهما كان صغيرا أو كبيرا[1]. ميول قبائل للاستقلال والحرية، مما ذهب إليه أيضا أن أغلبية المدن القبائلية خاصة الساحلية هي رومانية التأسيس وذكر منها: RUSUCURM-SALVAE-SHABA-BAGA» مؤكدان على أن الأوروبيين يعرفونها منذ بعيد. مستدلان في ذلك على ما ذهب إليه الدكتور شو SHAW.

أما بالنسبة للمصدر الثاني يعود للملازم لامارك، يحمل عنوان " بلاد القبائل". وهو عبارة عن مذكرة كتبها عام 1845. واستعمل مصطلح "القبائل" من أجل التفريق بين فئات المجتمع الجزائري. ذكرة هو الآخر جغرافية المنطقة وعرج على حياة الحياة الاجتماعية لساكنها، وحبهم للحرية والاستقلال، كما ذكر عاداتهم وتقاليدهم وأرجعها إلى فترات زمنية

[1] أنظر كتاب M ,Daumas et M, Fabar ; la grande Kabylie

قديمة أسندها إلى الرومان المسيحية. مركزا على أنهم السكان الأصليين للمنطقة وأن أصولهم تعود إلى الوندال والرومان[1].

كذلك ما ورد في كتاب(j. Liorel) المذكور أعلاه أين قال: " قد يكون القبائل العنصر المستوطن الممتاز، الذي يمكن أن يسخره لتحويل الجزائر إلى فرنسا حقيقية"[2]. ويضيف Aucapitaine في كتابه الشهير "Le pays et la société kabyles" الذي صدر سنة 1857 أنه: " بعد مئة عام سيكون القبائل فرنسيون"[3] كما ألف كتاب آخر تحت عنوان" Les Kabyles Et Colonisation de L'Algérie " ذكر فيه أن القبائل متمسكون بفتور بالدين محمد جعلت طباعهم وأعرافهم يميلون إلى جانبنا..." إن دستورهم جمهوري وحكمهم ديمقراطي وقراهم تشبه قرانا الفرنسية بسقوفها القرميدية الحمراء وأنهم يحملون وشما في شكل صليب. ويوم استراحتهم هو يوم الأحد[4]. كما ذكر أيضا: " إن القبائل هم الأعداء الطبيعيون للعرب الذين وقت الغزو أجبروهم على العودة إلى الجبال. هذه الكراهية لا تزال قائمة بما فيه الكفاية بحيث لا يوجد سبب يدعو للخوف من محاولة التحالف مع السابقين (القبائل)[5] ، وفي نفس سياق قال Tocqueville، في سنة 1837: " لئن أُغلقت في وجوهنا بلاد القبائل، فإن روحهم قد انفتحت لنا " وكان الجنرال Duvivier يقول في سنة 1841، أن: " من الضروري أن يكون موضوع استقرار القبائل، وحبهم للعمل، من أقوى محاورنا السياسية"[6]، كما كتب **السناتور كلما جيران** في دراسة حول الجزائر سنة

---

[1] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق،ص ص65- 66.

[2]Jules Liorel ; Kabylie du jurjura ; éditions Leroux ; 1892 ; p.120

[3] Le baron Henri Aucapitaine, Le pays et... ; Op ; Cit, p 20

[4] سعدي مزيان : المرجع السابق، ص 265.

[5] LE Baron Hanri Aucapitaine : Les Kabyles et ..... OP ; Cit ; p 25.

[6] شارل روبين أجرون: المرجع السابق، ص 496-497.

1833 صراحة:" إن مصلحتنا تفرض علينا أن تبادر إلى إدماجهم" أما بول برت وهو رئيس جمعية المستوطنين سنة 1833 فقد أكد في كتابه **رسائل من بلاد القبائل**" بالرغم من عدائهم لجنسنا فإن القبائل كانوا مناهضين لتعاليم الرسول (صلى الله عليه و سلم) ومن هنا جاءت إمكانية التقارب مع هذا الرجل الإيجابي "[1] . ويضيف Charles Deveaux في كتابه المسمى ب les kebailes du Djurdjura قائلا: "... وفي المنطقة جبلية واقعة بين وادي يسر وبجاية، يعيش عنصر يختلف في العادات والتقاليد وطريقة تسيير شؤونه عن العنصر العربي.[2]

كما كتب **طوكفيل** عام 1837:" إذا كانت بلاد القبائل مغلقة في وجهنا، فإن روح القبائل مفتوحة لنا" أما الدكتور **بود يشون**، فإنه توصل في 1845 إلى تحديد سياسة بربرية فظيعة أساسها الاستغلال المنهجي للضغائن القائمة بين العرب والقبائل وانصهار الأوروبيين مع القبائل والقضاء على العرب"[3] وفي 1848، صدر رأى النقيب **كاريت** إن الدراسة التي أنجزها Carette" حول منطقة القبائل تطرق فيها إلى أهم المعطيات الثقافية والتاريخية وكذلك لأهم الخصوصيات الاجتماعية التي تميز هذه المنطقة؛ ومن أجل الوصول إلى بعض الخلاصات الهامة من الجانب العملي والاستراتيجي، عمل Carette على رسم أهم المخططات اللغوية للغة البربرية. ومن المواضيع التي تعرض لها في كتابه الأول نلخصها فيما يلي:

---

[1] سعيد مزيان: المرجع السابق، ص 259.

[2] Charles Devaux : les kebailes du Djurdjura. Edition : Camoin Frères ; Marseille ; 1859 ; P 1

[3] أحمد رضوان شرف الدين: **الخرافة القبائلية والسياسة القبائلية في الفكر الاستعماري في الجزائر**، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، عدد 10، 1417_1997م. ص 328.

وصف الجانب الديمغرافي وتركيبته الاجتماعية مع تحديد توزيعه وكثافته. ينتقل بعد ذلك إلى تحليل البنية الاجتماعية لأهم التشكيلات العرشية والقبلية لمنطقة القبائل ويقول بأن " الاستقلال السياسي الذي تتمتع به منطقة القبائل لم يكن ظاهرة عفوية أو ظرفية، بل تعود جذوره إلى عصور قديمة في التاريخ، والتي صمدت أمام العديد من الحملات الأجنبية مثل الرومانية والتركية[1] جازما:" بعد بضع سنوات، ستصير كابيليا المُعين الأكثر ذكاء لمشاريعنا والشريك الأكثر فائدة لأعمالنا"[2]. كما واصل أبحاثه وهو أول من اكتشف قانون العقوبات القبائلي من الفرنسيين، وأكد أن منطقة القبائل التي ظلت بمعزل عن أي اتصال مباشر معنا وبقيت في صراع مستمر ضد أشكال في تحقيق مشاريعنا ونجاح أعمالنا". لقد اكتشفت المثالية الإدماجية، القديمة، عربون "المتوحش الطيب" الذي يلائمها. ولن يكون من المستحيل بعد الآن خلق فرنسيين جدد من هؤلاء" البربر ذووا الأدمغة المستديرة" والقدماء في المسيحية، المزارعون المستقرون الجادون والتجار النشطاء والمحاربون الشجعان[3].

وماسكاري Masqueray بدوره تبنى الدفاع عن سياسة مناصرة للقبائل ومعادية للمسلمين:" إن واجبنا، في الجزائر، هو محاربة جميع أشكال التوجه الإسلامي الذي هو عدونا الأزلي". فلقد صاغ نظرية تدرس الجماعة البربرية من خلال حلقات متداخلة يمنح فيها لأية "تادارث"[4] القبائلية ذاتية تجعلها تؤسس مدينة عريقة... بينما جاء تصويره للبدو العرب سلبيا مقارنة بوصفه للبربر المستقرين والمزارعين والملاك والساسة والصناع المهارة

---

[1] أنظر كتاب: Emile Carette : Exploitation scientifique de l'Algérie pendant les années 1840-1841-1842

[2] أحمد رضوان شرف الدين: المرجع السابق، ص 328.

[3] شارل روبين أجرون: المرجع السابق، ص 497-498.

[4] **تادارث:** بالعربية "القرية"عبارة عن مجمع سكني لا تقل الصغيرة منها من عشرين دار والكبيرة فوق المئة ،وتطل ابعد البيوت فيها على الحقول ،وتتكون من بيوت حجر مبنية من الطين ن فقد تسكن القرية عشيرتان أو أكثر. أنظر عبد الكريم بوعمامة: لمحات من التراث اليعلاوي عادات والتقاليد، ص 23.

والفنانين. وكان قد تبني من قبل الدفاع عن سياسة مناصرة للقبائل ومعادية للمسلمين." إن واجبنا، في الجزائر، وهو محاربة جميع إشكال التوجيه الإسلامي الذي هو عدونا الأزلي"... " فلنتخذ هذه القوانين القبائلية سندا قويا لسياستنا لأنها تختلف مع القانون الإسلامي. إن القانون القبائلي، بين أيدينا أداة لا متناهية القيمة، فكلما بادرنا إلى العمل بها إلا واتسعت الهو بين العرب المنهزمين أمامهم بالأمس"[1].

فيما ألف لويس وبديكور عام 1852 كتاب تحت عنوان " LES INDIGENES DE L ALGERIE" وهو عبارة عن مذكرة جمعها في هذا الكتاب تناول فيه الجانب الاجتماعي للمجتمع الجزائري فجزءهم إلى ثلاث فئات هي الأتراك والعرب والبربر(القبائل)؛ كما قارن الكاتب بين العرب والقبائل، فرفع من قيمة البربري وحط إلى حد أقصى درجة قيمة العربي إنسانيا، حيث قال:" ... إن العربي مغرور متكبر وحقير وماكر، أما البربري (القبائلي) فهو فخور بنفسه وبسيط ويكره الكذب وله شعور عميق نابغ من كرامته..."[2]

اهتم المؤلفين الفرنسيين بالأسطورة القبائلية وجلهم من فئات مختلفة من المجتمع الفرنسي، وهذا ما جعل التباين واضحا من حيث المستوى العلمي فيما بينهم، بغض النظر عن نشاطاتهم المتنوعة، فقد كانت الأسطورة القبائلية بارزة الوضوح في هذه الكتابات.كرست جهودها للحفاظ عليها مُنتهجة عده أساليب. ففيما تمثلت أساليبها لتحقيق ذلك، هذا ما سنعرفه في المبحث التالي.

---

[1] أنظر كتاب E ; Masqueray : FORMATION DES CITES chez les populations sédentaires de l'Algérie.

[2] بو ضرساية بوعزة: المرجع السابق، ص 67.

المبحث الثاني: مساعي الإدارة كولونيالية لتكريس الأسطورة القبائلية:

درس الفرنسيون المجتمع الجزائري في منطقة القبائل دراسة دقيقة، وكان هدفهم في ذلك معرفة كل ما يتحكم في نظام معيشتهم، وأساليب تعامل الناس فيما بينهم وكل ذلك من أجل أن يندسوا بين أفراد هذا المجتمع لإيجاد الطرق التي بواسطتها يستطعون التأثير عليهم[1]. حيث كتب الأمير نيكولاس بيبسكوا مقالا حول قبائل جرجرة قبل الاحتلال الفرنسي واصفا، بذلك نظامها القائم على انه نظام جمهوري فيدرالي دون ان يكون هناك حكم مركزي، ليضيف ان هذا التنظيم الاجتماعي يهم جدا السلطات الفرنسية[2]. هذا الأخير (التنظيم الاجتماعي) عبارة عن تمازج بين العرف التقليدي وتعاليم الدين الإسلامي. ساهم بشكل كبير في تحصين المنطقة وتماسكها. لذلك سعت الإدارة الكولونيالية لتجريدها من أية صبغة إسلامية[3]، مركزة في ذلك على الحفاظ على القوانين العرفية التي تتماشى ومصالحها من جهة، وإلغاء القوانين التي لها صلة بالدين الإسلامي من جهة أخرى . وكخطوة أولى أقدمت عليها الإدارة العسكرية.

---

[1] محمد الطاهر وعلي: **التعليم التبشيري في الجزائر من 1830-1904**، دن.ط، منشورات دحلب، الجزائر، 2009، ص62.

[2] ياسمينة سعودي: **النظام العسكري والإداري في مشدالة ما بين1830و1897**، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،2004-2005، ص 30.

[3] د. جمال كركار: **القانون العرفي الجزائري خلال فترة الاحتلال**، مجلة الاجتهاد للدراسات القانون الاقتصادي، العدد 5، جانفي 2014،جامعة الجزائر(1)، ص 143.

تسخير العرف لخدمة الأسطورة:

يتشكل النظام الاجتماعي في منطقة القبائل من الأسرة كوحدة أساسية إلى تاجماعت كنموذج كامل ونوعي ثم العرش[1] كوحدة تشتمل على مجموعة من القرى، تتفرع عنها عدة وحدات تنظيمية وسيطية، مستمدة أساسا من تمازج القوانين العرفية المحلية والصبغة الإسلامية. ولما نجحت فرنسا في الإستلاء على أجزاء منها خاصة المشرفة على شاطئ البحر كمركز دلس وبرج منايل، وتيزي وزو، ذراع الميزان وغيرها.... الخ[2]. أصدرت جنرالات فرنسا تعليمات خاصة بفصل القبائل عن غيرهم من الجزائريين في المعاملات وفي القوانين. منهم الماريشال بيجو والجنرال راندون ومكماهون.[3] فبمجرد دخولها إلى مدينة الجزائر أدخلت تعديلات على المؤسسات الجزائرية. أما منطقة القبائل فهي لم تشهد أي تغير في مؤسساتها، حيث بقيت القوانين العرفية مستحكمة فيها كما هي. وهذا الأمر مطابق على جميع الفترات التي عرفت فيها دخول أجناس متعددة، فعندما دخل الأتراك لم يستطيعوا إخضاع أهلها واستمر العمل بالقانون العرفي في القضاء، وبقي دور الجماعة مسيطرا على جميع نواحي الحياة، وعندها لم يتجاوز التدخل العثماني حدود العمل التجاري. ولما جاء دور السلطة الفرنسية لم تتمكن هي الأخرى من السيطرة عليها فحافظت على الجانب التشريع والقضاء في بداية الأمر. ففي بداية الأمر لم يكن لدى فرنسا نية إحداث أي تغير على المنطقة فلقد حاول الجنرال Randon حتى قبل اكتمال السيطرة على بلاد القبائل إقناع الحكومة بجدوى الاحتفاظ بتنظيمها السياسي المدني وواعد العروش باحترام مؤسساتهم القريبة

---

[1] العرش: مفردها عرش، يتكون من عدد معين من العائلات وتكون في العادة من أصل واحد كما تربط بينهم علاقة القرابة وكل مجموعة يقال لها في العرف منطقة القبائل "أذروم" وكل أذروم يتألف من عدة تيخروبين التي بدورها تضم عدة عائلات. "اخامن". انظر هانوتو لوتورنو: منطقة القبائل والأعراف القبائلية، ج2، ص 7.

[2] سي يوسف محمد: **مقاومة منطقة القبائل للاستعمار الفرنسي، ثورة بوبغلة**، دار الأمل، الجزائر، 2000، ص 64.

[3] سعيدي مزيان: المرجع السابق، ص 252.

الشبه بمؤسساتنا" وكذا عدالتهم العرفية.[1] إذ ألقى خطابا قبل احتلاله المنطقة قائلا:"...أيها القبائل... إننا لم نأت لكي نجردكم من أملاككم ولا نريد أبدا تغيير مؤسساتكم، ونظم حكمكم، فهي تشبه مؤسساتنا... إن أمنائكم سيواصلون حكم قراكم وأن أمناء أمنائكم سيواصلون حكم عشائركم وفقا لعاداتكم وعرافكم"[2]. كما نجد بعض الكتاب أمثال Liorel jules كان يدعم فكرة عدم مساواة في تعامل بين القبائلي والعربي ويظهر ذلك في قوله: " يجب ألا نخلط بين " العربي" و" القبائلي"، ويجب ألا نعاملهم بنفس الطريقة"[3].

وقد تحولت عاداتهم إلى عرفا[4] وقانونا ينفذه رجال الجماعة، لتأييد ذلك العرف صدر قانون في 28فيفري 1841 نص على رفع سلطة القاضي من أحكام الجنايات والجنح وجعلها من اختصاص محكمة الإستئنافية فرنسية، وتم استكمال ذلك قرار جديد في 31 ديسمبر 1859 وهو قانون أكد على إخضاع القضاء الإسلامي الجزائري إلى التسرع الفرنسي نظم وأن هذا القانون لا يشمل بلاد القبائل زعم أن أهلها يريدون الاحتفاظ على عرفهم الجاهلي ويريدون أن لا يكون الحكم في بلادهم إلا لرجال الجماعة[5]. فالقوانين الفرنسية والإجراءات السلطة مرت بمراحل منطوية على مكر وخداع، يظهر ذلك جاليا في تصريحاتهم منها: " إن أفضل وسيلة لجلب تعاطف السكان هي احترام تقاليد وأعرافهم وأسلوب إدارتهم بواسطة رجال ألفوا التعامل معهم..."[6]. بداية باحترام القانون العرفي وتفعيله، إذ تركت السلطة الحكم فيها للجماعات وليس للمحاكم، وبقيت مؤسسة "ثاجمعت" أي الجماعة هي الرئيسة تسير كل

---

[1] شارل روبين اجرون : المرجع السابق، ص 512.

[2] سي يوسف محمد: المرجع السابق، ص 170.

[3] Liorel : op ; cit ; p 536.

[4] **العرف**: كلمة تشير في معناها العام إلى جميع الممارسات الاجتماعية التي تخضع للتقنين، وإلى الإصلاحات التي يشترك فيها أفراد الجماعة وتصبح تقليدا بينهم. انظر محمد الطاهر وعلي التعليم التبشيري في الجزائر ص 62.

[5] أحمد توفيق المدني: **كتاب الجزائر**، المرجع السابق، ص 345

[6] موهوب مباركي: المرجع السابق، ص ص 109- 111.

شؤون السكان[1]. وهذه الأخيرة " تعتبر الوحدة السياسية والإدارية لبلاد القبائل وهو جسم لديه حياته الخاصة، واستقلاليته يعين قيادته ويغير في قوانينه، ويحكم نفسه بنفسه..."[2].

وذلك ليس حبا في العرف ولا احتراما لأهله، وإنما المقصود هو فصل القبائل عن باقي القطر الجزائري من جهة، ومن جهة أخرى لتفادي الصدام مع القبائل نظرا لكون هذا النظام يمثل آلية تنظيمية صارمة تتحكم في جميع سكان القرى. وبالتالي التحكم فيها سيسمح بالسيطرة على المنطقة بأكملها[3].

لم تكتفي الإدارة العسكرية بذلك فشرعت بإعادة نشر المؤلفات السابقة عن الجزائر خلال مرحلة ما قبل الاحتلال. وقد احتلت بعض المؤلفات الصدارة مثل: شو وبانانتي وشالر وهايدوا وفانتور دي برادي، لكنها ركزت هذه الإدارة على نشر ما ترجمه دوسلان من كتاب العبر لابن خلدون، الذي جعل منه البعض المؤلفين ذريعة تاريخية للأسطورة القبائلية[4].

ظلت فرنسا على إستراتيجيتها إلى غاية 1857 حيث أدخلت عليه السلطة الفرنسية تغيرات منها، تجريديها من النظر في أخطر الجرائم والجنح و" الاحتفاظ" لهم بالنظر في القضايا المدنية والتجارية فقط[5]. بالإضافة إلى الاحتفاظ بالقانون العرفي القبائلي.[6] خاصة

---

[1] د. جمال كركار: المرجع السباق،ص 146.

[2] HANOTEAU et LETOURNEUX :La Kabylie et les coutumes kabyles, T1, 2éme édition, challamet, Paris, 1893،p 4.

[3] د. بلخير بومحراث: المرجع السابق، ص 11.

[4] بوضرسايا بوعزة: المرجع السابق، ص 60.

[5] هانوتو ولوتورنو، **منطقة القبائل والأعراف القبائلية**،ج 2 تر:مخلوف عبد الحميد ، منشورات الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ، المدينة الجديدة، تيزي وزو، دن.س، ص133.

[6] شارل روبين أجرون : المرجع السابق ، ص 517.

منها المخالفة للقوانين الشرع. ولما أيقنت الإدارة العسكرية الدور الذي تلعبه القوانين القبائل المستمدة من الدين الإسلام في إعاقة مخططاتها، عمدت إلى إلغائه.

2- السعي إلى تهميش العامل الديني :

سعت الإدارة الكولونيالية لتقليل من تأثير الدين الإسلامي في نفوس القبائل فهو يمثل الصخرة التي تحطمت عليها حملات التنصيرية المسلطة على منطقة القبائل مستهدفة بذلك القوانين تسير بها منطقة القبائل، فبحثوا عن القرائن التي تدل على عدم نفاذ الدين الإسلامي إلى حياة سكان جرجرة[1]، من بينهم Masqueray في قوله: " إن واجبنا في الجزائر، هو محاربة جميع أشكال التوجه الإسلامي الذي هو عدونا الأزلي... فلنتخذ هذه القوانين القبائلية سندا قويا لسياستنا لأنها تختلف مع القانون الإسلامي إن القانون القبايلي، بين أيدينا، أداة لا متناهية القيمة، فكلما بادرنا إلى العمل بها إلا واتسعت الهوة بين العرب وبين المنهزمين أمامهم بالأمس". ونشروا أفكارا منها أنه لا تجد لدى القبايل أي ديانة، وتعتبر قوانينه نفيا صارخا للمبادئ الإسلامية[2].

ولتحقيق مسعاها هذا انتهجت أسلوب التشجيع تارة وأسلوب التهميش تارة أخرى، فشجعت القوانين البعيدة كل البعد عن الأحكام الشرعية التي كثيرا ما نجدها لدى القبائل البعيدة عن المراكز الكبرى التي لم يتمكن أي استعمار من الوصول إليها باستثناء الاستعمار الفرنسي، حيث احتفظت بالعادات القبائلية القديمة واحلوها محل الحكم الشرعي، فمثلا قضية القتل في القرآن الكريم يطبق " العين بالعين والسن بالسن" بينما نجد المجتمع القبائلي يطبق عملية الثأر، ومن قوانينهم أيضا من قتل بدون سبب وجيه

[1] محمد طاهر وعلي: المرجع السابق، ص 61.

[2] شارل روبين أجرون: المرجع السابق، ص ص 508-509.

يتحمل الموت. من يقتل أخاه من أجل الميراث إما يحول ذلك الميراث إلى تاجماعت أو يتم قتله من طرفها. وهذا الاختلاف يعود إلى أن كل عرش كيف يطبق هذه القوانين فتارة نجدها متشابه وتارة تكون مختلفة[1]. وأهم ذلك أنهم لا يورثون المرأة أصلا[2]. فشجعت فرنسا مثل هذه القوانين من خلال الحفاظ عليها، بينما عملت على تغير وإزالة القوانين التي تقربهم من الدين الإسلامي، منها فرض الغرامة على كل من يسمع المؤذن ولا يذهب لتأدية الصلاة عندما لا يمنعه مانع شرعي، وكل من يثبت عدم صيامه في شهر رمضان، ومن يبيع لحم حيوان غير مذبوح، وكل من لم يختن ابنه قبل بلوغ الثامنة من العمر. فهذه القوانين تم استقاءها من الشريعة الإسلامية تعمدت فرنسا إزالتها من أجل تجريد النظم الاجتماعية للمنطقة القبائل من أية صبغة إسلامية[3]، من خلال تشجيع فقط الأحكام العرفية التي تراها مصادمة لنصوص الشريعة[4]، والهدف من كذلك الرغبة في الوصول بهم إلى قبول البديل الذي أتوا لعرضه عليهم والمتمثل في تعاليم الإنجيل[5].

المبحث الثالث: الكنيسة الكاثوليكية والأسطورة القبائلية:

في البداية ينبغي الإشارة إلى أن المسيحية قد انتشرت في الجزائر في أواخر القرن الثاني ميلادي. ومع الفتح الإسلامي للجزائر سنة 674 اعتنق سكان الدين الجديد، الذي

---

[1] E .Masqueray ، formation des cites chez les populations sédentaires de l'Algérie،Ernest Leroux éditeur 28 rue bonaparte28، paris، 1886 ،pp 310-281.

[2] غبريال كامب: **البربر ذاكرة وهوية**، ترجمة عبد الرحيم حزل، إفريقيا الشرق، دن.ط، دار البيضاء، المغرب، 2014، ص 382.

[3] محمد الطاهر وعلي: المرجع السابق، ص60.

[4] د. جمال كركار:المرجع السابق، ص 146.

[5] محمد الطاهر وعلى: المرجع السابق، ص 61.

أزال الديانة المسيحية في هذه البقاع. ولما دخلت الجيوش الفرنسية إلى الجزائر اصطحبت معها الكنسية الكاثوليكية، فأجهد رجال الدين التابعيين لها في التنقيب عن آثار الكنيسة من أجل بعثها من جديد، مستهدفة منطقة القبائل وسكانها، من خلال إطلاق إشاعات من شأنها تشويه تاريخهم[1]، وأنهم من واجبهم نشر المسيحية في كل العالم فالإنجيل يأمر قائلا: " إذهبوا وعلموا جميع الأمم ولا يمكن لأي شخص ان يعرقل الدعوة التنصيرية إلى السيد المسيح فقد أصبح حق التنصير والاستعمار حقا واحدا[2].

1- إسهام في تشويه تاريخ الديني للمنطقة:

لقد كان للكنيسة دور هام في إضفاء الطابع الديني الصليبي للأسطورة القبائلية من خلال تشويه كل ما يمت بصلة لهذا المجتمع بداية من عناصره البشرية، كالعرب والبربر، ثم انتماءهم الحضاري من دين ولغة وتاريخ وعاداتهم وتقاليدهم التي تعرضت هي الأخرى للتشويه والمسخ[3]. مقابل بعث الكنيسة الإفريقية الرومانية ومحاولة كتابة تاريخها لإبراز معالمها وذلك عن طريق اعتبار الاحتلال الجزائر فتحا مسيحيا وبداية إعادة أمجاده الماضي وتحقيق الحلم القديم " إفريقيا المسيحية". والعودة إلى العهدين الروماني بالخصوص ثم البيزنطي لتعطي لرسالتها التنصيرية الجديدة مرجعية تاريخية تعود إلى قرون مضت ومن ثم محاولة تكريسها على أرضية كانت قابعة وفاعلة فيها[4]. وصورت الفتوحات الإسلامية على أنها فترة استعمارية، فرض خلالها العرب الغزاة الإسلام على البربر بالإكراه والسيف، بعد أن

---

[1] محمد الطاهر وعلى: المرجع السابق، ص 26.

[2] الحبيب الجنحاني: **حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب في القرن التاسع العشر**، مجلة الأصالة، العدد السادس عشر، الجزائر 1978، ص24 .

[3] د إبراهيم صيهوم عبد السيد: **السياسة الفرنسية اتجاه القبائل البربرية في المغرب الأقصى 1930-1937**، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 23، العدد 97-2017، معهد فنون الجميلة، ص 571.

[4] مزيان سعيدي: المرجع السابق، ص 270.

قطعوهم عن الحضارة الغربية وعن الكنيسة، فنسج صورة تشوه من خلالها الفتوحات الإسلامية وإظهار العرب على أنهم مخربين وشبهوهم بالسيل المخرب الذي تسبب في الخراب شمال إفريقيا وأن مرورهم قد ترك المدن خربا، والخضرة يبابا، وأنهم نشروا شقاء والوحشية البربارية[1]. فعلى حد قول أجرون فإن البربر (القبائل) صمدوا مدة اثني عشرة قرنا في وجه الإسلام[2].

أما بخصوص الانتماء الحضاري فتعترف الكنيسة الكاثوليكية بأن الرجل القبائلي ينتمي إلى جنس ذي جذور أصلية بسبب تجرده من أغلب الشكليات الإسلامية[3]. وأنهم مسحيين قبل بزوغ فجر الإسلام على بلادهم، لذلك وجب عليهم العودة إلى حظيرة النصرانية ونبذ الدين الجديد الذي يدينون به. بل حتى هذا الدين سطحي، فهم يتظاهرون به فقط. وراحت تستدل على احتفاظ القبائل برموز النصرانية عن طريق الأوشام[4] التي يشم بها بعضهم وجوههم[5] لكونها تشبه الصليب خاصة النساء[6]. وتشجيع الاستعمار وأنه من واجبه ربط المنطقة البربرية بأصولها الغربية المسيحية[7]،

---

[1] أبو قاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، جزء 6. ص ص 314- 316.

[2] شارل روبين أجرون : المرجع السابق، ص 510

[3] نفسه، ص 506.

[4] مفرده الوشم: هو النقش في البدن بواسطة الوخز بالإبر، ثم وضع لون على محل الوخز. انظر جميل حمداوي: الوشم في الثقافة الأمازيغية. ص 11.

[5] أنظر الملحق رقم (4).

[6] محمد الطاهر وعلى: المرجع السابق،صص61-62.

[7] ساجية مخلوف: **التنصير في منطقة القبائل اسبابه وعوامله**؛ أطروحة دكتورة، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2013_2014.ص 267.

فعمل رجال الدين الفرنسيين وبمساعدة الكنيسة التي كانت تدعمها البابوية في روما وراء دفع رجال الحكم في فرنسا إلى ضرورة القيام بحملة عسكرية ذات بعد ديني، لكونها سوف تبعث الكنيسة المسيحية القديمة من جديد من خلال تمسيح الجزائريين، فكانت مبررات الكنيسة في دعمها للاحتلال بكل الطرق والوسائل هو حقها الإلهي في نشر المسيحية بين سكان العالم[1].

وبذلك استطاعت الكنيسة فرض وجودها اجتماعيا وسياسيا. ما سهل الأمر لرجال الدين في وضع أقدامهم في الجزائر وإحياء النزعة المسيحية القديمة في ثوب جديد، وبالتالي كانت الأسطورة القبائلية ضمن هذه السياسة. ويظهر ذلك من خلال الخطاب الذي ألقاه أساقفة فرنسا في عام 1830: " إن هدفنا أن تقيموا الصلوات في جميع الكنائس متوجهين إلى الله بدعواتكم أن يحمي رايتنا ويؤيدنا... إن الهدف الذي نصبوا على تحقيقه من هذه الحملة يجب أن ترضي فرنسا ويعيد لها شرفها ويعود على المسيحية بالفائدة بفضل العناية الربانية..."[2].

2 - نماذج كنسية من مروجي الأسطورة القبائلية.

اصطحبت فرنسا أثناء حملتها على جزائر أكثر من 16 قسا مسيحيا كاثوليكيا، ليس فقط لشحن همم الجنود الفرنسيين، وإنما لتعبئتهم بالخطب الدينية ضد المسلمين. وما ان تم احتلال الجزائر حتى خاطب الكونت دي بورمون هؤلاء القساوسة قائلا: " إنكم أيها الآباء

[1] الحبيب الجنحاني: المرجع السابق، ص 26.

[2] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق: صص186-188.

أعدتم معنا فتح الباب للمسيحية في إفريقيا، لذا نأمل أن تتبع قريبا الحضارة التي انطفأت في ربوع البلاد..."[1].

لقد بدأ التبشير الرسمي في الجزائر بتأسيس أسقفية الجزائر سنة 1838 وتم تعيين القس أنطوان أدولف ديبوش على رأسها واستمر ما بين 1838 و1846. الذي استقبله مباشرة الملك الفرنسي لويس فليب وأكد له أن العرب وهم سكان الجزائر لا يمكن لهم أن يكونوا فرنسيين إلا عندما يصبحوا مسيحيين وأن هذا العمل الكبير يتوقف أساسا على الأسقف والملك معا، والذي يهدف أساسا إلى بعث إفريقيا المسيحية[2]. فكان تركيز القس ديبوش في عملية التبشير على البربر(القبائل) بالدرجة الأولى، وكان يتوخي الحذر الشديد أثناء تنفيذه للعملية، وينصح بضرورة اتخاذ الطريق المثلى لجلب هؤلاء السكان[3]. وهذا الحذر يعود إلى احتكاكه بالمجتمع الجزائري ومعرفته لنقاط القوة ونقاط الضعفه. كذلك زيارته لعدة مدن الجزائرية من بينها منطقة القبائل التي رأى فيها حقلا خصبا لتنصير من خلال الأسطورة القبائلية[4].

ومن ناحية أخرى كان لمعاونيه دور كبير في تغذية الأسطورة القبائلية من خلال ربط القبائل بالمسيحية القديمة. على أنهم عنصر بشري لا علاقة له بالعرب فهو أقرب إلى الأوروبي بالدرجة الأولى لذلك وجب تمسحيه بشتى الطرق كالتمريض والتعليم انطلاقا مما ذهب إليه أحد هؤلاء المبشرين بقوله : " ألا تتطلب سعادة هؤلاء القبائل أن نقوم بهذه

---

[1] عبد الجليل التميمي: "**التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19م**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 1، تونس، 1974، ص 14.

[2] عبد الجليل التميمي: المرجع السابق، ص 18.

[3] نفسه، ص ص 6-7.

[4] بوضرساية بوعزة: المرجع السابق، ص 192.

المحاولة، إننا عندما نقدم لهم العقيدة الجديدة سنضع حدا لهذا الفيض الكبير لطباعهم وأخلاقهم..."[1].

كان رجال الدين من خلال الأسطورة القبائلية يهدفون إلى تمسيح القبائل المسلمين المتعصبين لدينهم، فكان الواحد منهم يقوم بإعطاء ما قدره عشرون 20 فرنكا فرنسيا كل أسبوع لكل قبائلي يأتي لسماع ما يقال من كلمات الإنجيل في الكنيسة، ويُمنح كل شخص يقبل التعميد مبلغا من المال قدره خمسون فرنكا فرنسيا[2]، ما يعني في نظر رجال الدين ان كل قبائلي وبدون استثناء لهم قابلية ليسمعوا ما يجري في داخلها وهذا ما يكون لدى هؤلاء الناس الرغبة الملحة في اعتناق الدين المسيحي[3]. وفي نفس الإطار عمل القس على استمالة أكبر عدد منهم بطريقة الماكرة. حيث خصص كل يوم اثنين ويوم الخميس من أيام الأسبوع لتقديم الخبز للفقراء والمحتاجين. وكان يقوم بهذا العمل أمام باب الأسقفية، بالإضافة إلى جمع الأطفال المشردين في الشوارع والعناية بهم وتنصيرهم وقد ذاع وانتشر هذا العمل الذي أيدته إدارة الاحتلال، وباركته البابوية في روما[4].

كما تميزت السياسة الدينية خلال المرحلة الأولى للحكم العسكري والتي برز فيها دور القس ديبوش، بتكثيف نشاط الإرساليات التنصيرية المسيحية إلى الجزائر مركزة على منطقة القبائل لكونها حسبهم قابلة لتمسيح أكثر من المناطق الأخرى وسهل إقناع أهاليها باعتناق المسيحية[5]. وبالتالي كانت منطقة القبائل من المناطق التي احتلت مكانة بارزة في

---

[1] عبد الجليل التميمي : المرجع السابق، ص 19.

[2] خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية**، المرجع السابق، ص 53.

[3] عمار عمورة : **موجز في تاريخ الجزائر**، الطبعة 1، دار الريحانة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2002، ص 125.

[4] خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية**، المرجع السابق، ص ص 53-54.

[5] بوضرياسة بوعزة: المرجع السابق، ص 193.

نشاط رجال الدين، لذلك قام الأسقف ديبوش بزيارة مدينة بجاية الساحلية بتاريخ 4 أفريل 1839.

كما عمل هذا الأخير لدعم الأسطورة القبائلية على التركيز على الجانبين أولا الجانب الصحي، خاصة بالمستشفيات، فأطلق أوامر للمبشرين بالاعتناء بالتمريض لأنه عامل مهم في استمالة المريض وتحبيبه للمسيحية واستمالته لها خاصة بالنسبة للراهبات الممرضات التي كان ينظر إليهن على أنهم أقرب للمريض من الرجال في إيصال المسيحية. من أهم التعليمات التي أشار إليها: أولا إقامة الصلوات أمامهم وتكليفهم بمتابعتهم حركيا في ذلك، ثانيا توزيع الصليب الخشبي على المسنين من المرضى وحثهم على تعليقها إما على صدورهم أو في غرفهم، ثالثا التحدث مع المرضى الذين هم على فراش الموت لتعميدهم. وقد ساعدهم كثيرا انتشار وباء الكوليرا بين الجزائريين عام 1849. أما الجانب الثاني تمثل في بناء القرى الاستعمارية بالمحاذاة مع القرى الجزائريين. كانت هي الأخرى طريقة ناجعة للنشر المسيحية بين سكان القرى البعيدة، بحيث كانت تبنى الكنائس، على حساب المساجد وكان الهدف من ذلك هو توسعيها على نطاق واسع لتكون ملجأ للسكان عند العوز والحاجة. ومن الكنائس التي تم بناءها في منطقة القبائل جوزيف في بجاية[1].

وفي سنة 1846، تم تعيين الراهب بافيBavy كثاني رئيس لأسقفية الجزائر، وقد كان هذا الراهب متعصبا على المسيحية. وكان من رجال الدين الذين يؤمنون بضرورة إرجاع الجزائر وسكانها القبائل إلى حظيرة المسيحية. وهدف من مجيء هذا الراهب تمثل في استكمال عملية التبشير والذي يعود اختياره لتعصبه الديني. فكان يستغل كل ظاهرة تطرأ في جزائر سواء كان مرض أو زلزال أو فيضان...الخ. فكان يحرك آلته المهيمنة عن طريق

[1] بوضرياسة بوعزة: المرجع السابق ، ص 195.

أعوانه المبشرين بعرض أعماله لمساعدتهم وغاية منها كسب ثقتهم التي تجرهم بعد الدينية التي كان يلقيها في الكنيسة[1].

اتبع هذا الراهب نفس الطريق الذي سلكه سابقه في عملية تنصير الجزائريين. وكانت الأسطورة القبائلية النقطة الأساسية في سياسة فرنسة الدينية. والقائمة على تمسيح القبائل ولتحقيق هدفه هذا اتبع أساليب منها معاشرة السكان والتحدث معهم حول القرآن الكريم والإنجيل، مواساتهم في المصائبهم ويقدم لهم المساعدة وقد نجح إلى حد ما في ذلك حيث استطاع استمالة بعض سكان القبائل الكبرى، كما عمل هذا الراهب على خلق علاقة مع الأئمة المنطقة ومنهم إمام مسجد عين الحمام آنذاك المدعو محمد بن عبد الرحمن من أجل عدم إثارة الانتباه وبالتالي تعميد العديد من الأطفال منطقة القبائل الكبرى[2]. كما عمل على تنظيم جهازه الديني من خلال نظام خاص بالمبشرين الذين يشرف عليهم ومنها وجوب تقديمهم التحية لسكان المنطقة وتعليم اللغة العربية واللهجة البربرية للتعامل مع هؤلاء السكان[3]. ومن جهة أخرى استمر في بناء الكناس والأديرة في المناطق الوسطى منها كنيسة سانت أوغستين عام 1847 في باب عزون وأخري في باب الوادي عام 1850 سانت فرانسوار داسيز وغيرها[4]. ورغم أن منطقة القبائل لم يصلها الاحتلال العسكري لكن بافي ركز عليها أكثر من سابقه فكان نشاطه خطيرا جدا على الجزائر عامة ومنطقة القبائل خاصة بما أنها المستهدفة من طرف مشاريعه وسياسته. فلما وصل إلى الجزائر وجد 25 كنيسة فقط فرفعها إلى 172كنيسة والأخوات كان عددهن 80 وبمجرد وصوله بلغت

[1] أبو قاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر الثقافي**، الجزء 6، المرجع السابق، ص ص 114- 115.

[2] خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية**، المرجع السابق، ص 111.

[3] بوضرياسة بوعزة: المرجع السابق، ص 63.

[4] خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية**،المرجع السابق، ص 111.

800أخت. وكذلك دور الأيتام والملاجئ التي وصل عددها إلى 300 دار[1]. هذه القوة الضاربة من السياسة المسيحية وجهت بشكل كبير ومركز على منطقة القبائل. وبالتحديد بعد الاحتلال العسكري لها عام 1857. والذي أشرف عليه شخصيا وأقام احتفالا دينيا كبيرا[2].

وإذا ما عدنا إلى الأدبيات المسيحية التي تناولت الأسطورة القبائلية فنجد ان رجال الدين لم يغفلوا عن الترويج لها حيث ظهرت على الساحة كتابات قام بتأليفها رهبان من أجل إعطاء البعد الديني للأسطورة القبائلية من بينهم الراهب بوجولا الذي ألف كتابا بعنوان دراسات إفريقية études africaines. طبع سنة 1847 بباريس، عمل من خلاله على تأكد ضرورة بعث المسيحية من جديد بين سكان الجزائر من البربر لكونها في نظره ديانتهم الأولى وقد وصف الاحتفال الذي أقامه قائد الحملة العسكرية على الجزائر الكونت دي بورمونت عند دخوله الجزائر في القصبة قائلا أن الاحتفال الكبير الذي والضخم جرت وقائعه في القصبة التي بناها أبناء محمد صلى الله عليه وسلم لمواجهة أبناء عيسى عليه السلام، لقد رتل الفرنسيون كلمات من الإنجيل بأصوات علية أمام آيات من القرآن التي أصبحت ميتة والتي كانت تغطى الجدران، وكل هذا حقد على العرب والمسلمين[3].

اكتست مواقف بوجولا البعد الديني المحض، مما جعله إحدى الشخصيات البارزة المدعمة للاستعمار الديني في قالبه العسكري[4]. أما الكتاب الثاني فهو للقس PONS الذي سماه الكنيسة الجديدة لإفريقيا أو الكاثوليكية في الجزائر وتونس والمغرب منذ عام 1830، وقد طبع بمطبعة نامرون بتونس بدون تاريخ. وهو الآخر لم تخرج نظرته عن النظرة الدينية،

---

[1] خديجة بقطاش: **الحركة التبشيرية**،المرجع السابق، ص 111 .

[2] بوضرياسة بوعزة: المرجع السابق، ص 198.

[3] أبو قاسم سعد الله: **تاريخ الجزائر...**، الجزء 6، المرجع السابق، ص 116.

[4] بوضرياسة بوعزة: المرجع السابق، ص 205.

فقد ربط العنصر البربري (القبائلي) بالجذور الرومانية القديمة، كما ركز على عدد مهم من البعثات التبشيرية خلال عام 1837.كما أشار إلى أن أول القس زار منطقة القبائل هو ديبوش عام 1839. واعتبر عمل الذي قام به هذا الأخير والمتعلق بتنصير أبناء الجزائر وتركيزه بالدراجة الأولى على سكان القبائل عملا جبار[1].

كذلك كتاب Dugas (le père) ; la Kabylie et le peuple kabyle الذي صدر سنة 1847. الذي استشهد ببعض الآثار التي يقول عنها بقايا مسيحية منها وجود قرية قرب جامع الصهاريج تدعى "**أمصلوب**" حيث يقول :" في آث فروسن، على مسافة صغيرة من جامع صحاريج، قرية تحمل اسم أعرب أمصلوب"،كذلك الوشام ذو الشكل الصليبي الذي يوجد على جبهات النساء وأيديهن وعلى مدخل البيوت. [2] معتقدا أن سكانها لا يزالون يحتفظون بالديانة المسيحية والمساجد عندهم قليلة والإقبال ضعيف وإن وجدت فهم يمارسون بعض أركان الإسلام من باب العادة لذلك فهم يبدون استعدادا للرجوع إلى المسيحية.[3] بالإضافة إلى كتاب Godard (Abbe) la Nouvelle Eglise D'Afrique صدر عان 1858[4].

خلاصة الفصل.

وفي الأخير يمكن القول أن فرنسا تمكنت من تطوير الأسطورة القبائلية خلال الفترة الممتدة ما بين 1830 إلى 1857. إذ ساعده كثيرا دخولها إلى الجزائر من خلال تقليص

---

[1] بوضرياسة بوعزة: المرجع السابق، ص ص206-207.

[2] DUGAS PERE : LA Kabylie Et Le Peuple Kabyle ; librairie de Lyon ; Paris ; 1847 p 89

[3] سعدي مزيان:المرجع السابق، ص 287.

[4] نفسه، ص 271.

المسافة التي كانت من القبل، وتمكنها من التقرب أكثر من منطقة القبائل والتعرف عن قرب على سكانها، حيث صدرت عدت مؤلفات خلال هذه الفترة التي روجت للأسطورة القبائلية.

كما عملت على تكريس الأسطورة بالحفاظ على النظم القانونية للمنطقة التي كان قائما على العرف والأحكام الشرعية، فحافظت على الأول بينما عملت على فصل الثاني من خلال إدخال بعض التغيرات عليها، بإلغاء كل القوانين التي لها صلة الدين الإسلام فيما شجعت القوانين التي تبعد القبائلي عند الإسلام. هذا وتضافرت جهود كنيسة مع جهود لرجال الدين لخدمة الأسطورة القبائلية وإضفاء الطابع الديني لها، من خلال التشكيك في إسلام سكان منطقة القبائل بضرب أعماق تاريخها، نشر أفكار حول سطحية الدين لدى القبائل وتأكيد الفكرة القائل أن القرآن لم يدخل بشكل عميق إلى عاداتهم وتقاليدهم. فسخروا كل الأساليب المتاحة لهم من أجل جذب القبائل وتمسيحهم. بكل ما أوتوا من بدع وما استطاعوا من تلفيق من أجل زحزحة إيمانهم العميق. فيقبلون بالنصرانية كدين جديد لهم.

خاتمة

الخاتمة

حاولت هذه الدراسة إلقاء ضوء على "**الأسطورة القبائلية**" لاسيما قبل 1830، وسمحت لنا بوصول إلى عدة استنتاجات التاريخية، يمكن حصر فيما يلي:

ان موضوع الأسطورة القبائلية واقع لايمكن إنكاره ولا تجاهله ، فهو موضوع ذو أبعاد تاريخية، وسياسية، ودينية ونفسية واجتماعية، التي مازلت آثاره إلى يومنا هذا.

والأسطورة القبائلية ليس كما يعتقد البعض وليدة فترة ما بعد 1830 بل تعود جذورها إلى ابعد من ذلك أي قبل دخول الفرنسي إلى الجزائر، وهي فكرة أوجدتها فرنسا من أجل تشتيت شمل الشعب الجزائري وضرب وحدتهم وشق صفوفهم، وإثارة النعرات القبلية والنزعات العرقية، ارتكزت على أربعة عناصر هي أولا أن المجتمع الجزائري يتكون من عرقين القبائلي والعربي يمثل الأول السكان الأصليين للمنطقة أما الثاني فهو دخيل على المنطقة وأنه مستعمر لها. ثانيا وجود اختلاف بين هذين العرقين من حيث العادات والتقاليد وطريقة العيش...الخ، ثالثا تفوق العرق القبائلي على العرق العربي من خلال إشادة بخصال وصفات القبائلي وذم صفات العربي، رابعا تشبيه العرق القبائلي بالأوروبيين وخاصة الفرنسيين من حيث ملامحهم وبيوتهم وكيفية تسير حياتهم. وهي فكرة توهمها الرحالة بمختلف مهنهم سواء كان جاسوسا أو قنصلا أو أسيرا وقسا، وذلك بعد إطلاعهم على مناطق عديدة وزياراتهم لمنطقة القبائل التي اطلعوا فيها على عادات وتقاليد سكانها وأكدوا في مقولاتهم أنها تختلف عن التي للعرب. لزرع الشقاق والتفرقة بين العربي والقبائلي وتركيزهم على هذا الأخير لم يكن حبا فيه، بل خدمة لأغراض بلدهم الهادفة إلى احتلال الجزائر وضرب وحدة شعبها.

والحقيقة أن فرنسا قد وجدت أرضية خصبة ترتكز عليها لتجسيد فكرتها التي لم تختلقها من الفراغ أو من العدم. إنما هي قد استثمرت واستغلت ما هو موجود بشكل جيد

بالنسبة لها وسيئ بالنسبة للمجتمع الجزائري.. وأرضيتها الخصبة تمثلت في الكتابات العربية التي تناولت سابقا تركيبة السكانية في الجزائر خاصة منها كتاب ابن خلدون الموسوم ب " مقدمة ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوي الشأن الأكبر" الذي تحدث فيه بالتفصيل عن العرب والبربر الأمر الذي جعله يستعمل نوع من المقارنة في بعض المحطات منها نسب العادات والتقليد وطريقة العيش ... الخ

كما اعتمدت أيضا على ما كتبه رحلاتها حول العلاقة حكام الأتراك مع سكان منطقة القبائل وذلك لكون هذه المنطقة عرفة بطابعها الجغرافي المعقد، والذي ولد لدى سكانها شعور الرفض لأي شكل من أشكال الهيمنة الأجنبية التي توالت عليها. وميلهم إلى الحرية والاستقلالية، فركزت اهتماماها حول السياسة التي طبقتها السلطة التركية لضمان استمرارية حكمها في الجزائر وقمع الثورات التي كانت تقوم ضدها. والمتمثلة في "فرق تسد" هذه السياسة التي طبقها حكام الأتراك في منطقة القبائل خاصة بين آث عباس وآث القاضي، لإبعاد الأنظار عنها. ورغم أن هذه السياسة لم تكن بين العرب والقبائل إلا أنها كانت كنتيجة استخلصتها لتستغلها بطريقة أخري.

هذا ولم تغفل فرنسا عن الوضع الذي كان يعيشه القبائلي المهاجر إلى المدينة بحثا عن تحسين حياته، حيث كان مهمشا يعامل بوحشية وبأجر زهيد، أمتهن مختلف المهن كتاجر، خادم في بيوت الأغنياء، والأكثر من ذلك كانوا وسيلة ضغط في يد السلطة الحاكمة التي كانت تعاقبهم على تمردات أهاليهم في الجبال. هذه المعلومات التي تحصلت عليها فرنسا من خلال الدراسات التي قام بها رحلاتها، قناصلتها، وجواسيسها، استغلتها بطريقة تخدم مصالحا في الجزائر، فأطلقت اعتقادات التي شكلت "الأسطورة

القبائلية" والتي عبروا عنها من خلال المعارضة الثنائية العرب/ البربر (القبائل)، البدو/ مستقر، أصول سامية/ أصول جرمانية، استبدادي/ ديمقراطي.

عملت الاستعمار الفرنسي على استثمار هذه الاختلافات العرقية والثقافية للمجتمع الجزائري، و ذلك بمحاولة تقريب القبائل إليه وتفضليهم على العرب حيث كان الغرض منها السيطرة على كامل تراب الوطن.

ونستنتج أيضا أن مدينة الجزائر قد ضمت في العهد العثماني، وخاصة في القرنين السابع عشر والثامن عشر للميلادي عدد كبير من الوافدين الأوروبيين إليها خاصة منهم الرحالة والجواسيس والقناصل، الذين كانوا العين التي ترى بها فرنسا الحالة الاجتماعية والسياسية بالجزائر.

وبعد احتلالها للجزائر أصبحت كل ظروف متاحة أمام فرنسا لدراسة المجتمع الجزائر وترويج لهذه الأسطورة، فكثفت بحوثها التي انطلقت من الوصف الدقيق أو أكثر للخصوصية القبائلي. هذا الأمر أدى إلى تعدد وتنوع الكتابات بتنوع مؤلفيها من السياسيين والعسكريين فكانت تكرس الاعتقادات التي صنعتها من قبل لترسيخ هذه الأفكار في ذهنية الفردية والجماعية عبر الزمن.

انتهجت الإدارة العسكرية سياسة خاصة اتجاه القبائل من أجل استمالة هذا العنصر وربطه بها ، وقد ساعدتها على ذلك الخصوصيات الطبيعية، والتنظيم الاجتماعي لمنطقة القبائل، الذي جعل منها منطقة منعزلة يعتمد أهلها في تسير شؤونهم الحياتية على الأعراف والقوانين المحلية بالإضافة إلى تبنيهم للقيم الدين الإسلامي. الذي وعلى حسب أقولهم شبيه جيدا بنظامهم فهم أيضا ديمقراطيين بالإضافة إلى وجود عدة نقاط مشتركة بينهما (القبائلي وفرنسي) التي كرستها لخدمة الأسطورة القبائلية. فكانت القوانين العرفية الورقة الرابحة لها وذلك لما أدركت أهميتها عن الأهالي "القبائل" فحافظت عليها وشجعتها

خاصة البعيدة تماما عن الشريعة الإسلامية كما سبق أن ذكرنا. بينما حاربت القوانين التي كانت تقربهم عن الدين الإسلام وعملت على إلغاءها لما لها من تأثير على نفوس القبائل.

كما لقيت الأسطورة القبائلية عناية خاصة من طرف الكنيسة ورجال الدين الذين أضفوا عليها الطابع الديني، حيث سار جهودهم جنبا إلى جنب مع جهود العسكريين، حاربوا الدين الإسلامي عن طريق التشكيك فيه و إبراز فتح المسلمين لشمال إفريقيا على أنه غزو لهذه المنطقة، وإرغام سكانها على ترك ديانة التي كانوا يدينون بها بقوة. وعملوا على نشر المسيحية بدلا منه معتمدين في ذلك على مختلف الوسائل التي توصلهم إلى غايتهم، سواء بالأعمال الخيرية، أو استغلال حالتهم الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، بإغرائهم بالأموال كما فعل أدولف ديبوش الذي انتهى به الأمر بالإفلاس وسجنه.

ولا شك أن هناك جوانب عدة في هذا الموضوع، بحاجة إلى الاستكمال، وتعمق في طياته وإخضاعها للبحث والتحليل، فموضوع الأسطورة القبائلية خلال العصر الحديث يبقى دون شك حقلا واسعا للباحثين والدارسين، لذا يستوجب على المؤرخين الخوض فيه والإحاطة بجميع جوانبه، لإزالة ماهو غامض، ومعالجة ما لم يُتطرق له.

ملاحق

الملحق رقم 1: صورة لرجل ثري من مدينة الجزائر خلال العهد العثماني.

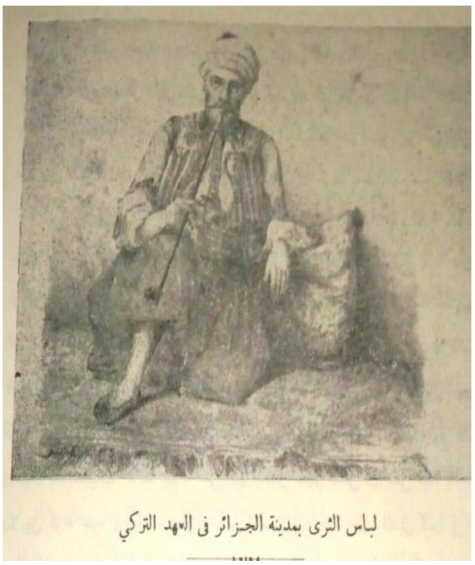

لباس الثرى بمدينة الجزائر فى العهد التركي

الملحق رقم 2: صورة لمجموع من الرجال القبائل.

1-حليمي عبد القادر على: مدينة الجزائر، المرجع السابق. ص 280.

2-Jean Servier : Tradition et Civilisation Berbères ; éditions du rocher ; rue Comte-Felix- Gastaldi Monaco ; 1985 ;p 172.

الملحق رقم 3: تقرير للجاسوس بوتان.

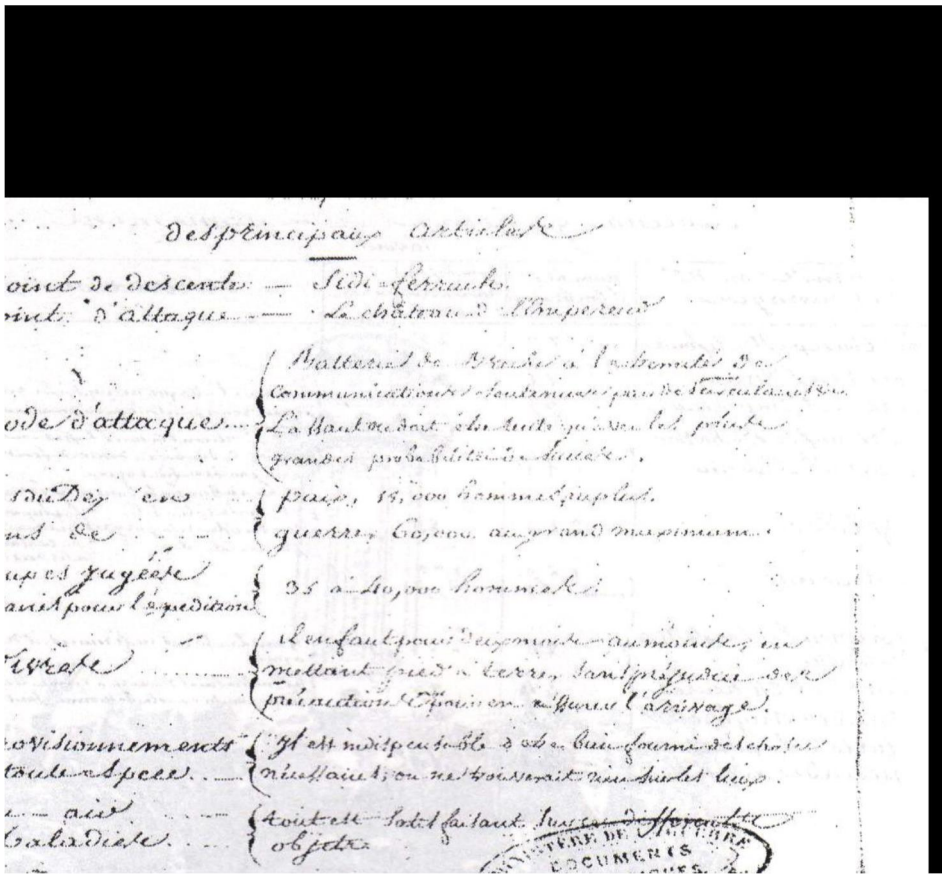

Des principaux Articles

oint de Descente — Sidi-Ferruch.
oint d'attaque — Le château de l'Empereur.

de d'attaque — Batteries de Brèche à l'abordage de ... Communications ... Fascines ... pour se retirer ... La Basse ... dont ... les ... frappés ... Infanterie ...

du Dey ... — paie, 18,000 hommes principaux.
ns de ... — guerre, 60,000 au grand maximum.

ipes jugées — 35 à 40,000 hommes de
ait pour l'expédition

ivrée — Il faut pour Débarquer aux Marines ... en
mettant pied à terre, sans préjudice de ...
pénétrer ... pour ... l'arrivage.

ovisionnements — Il est indispensable d'obtenir ... fournir des choses
toute espèce — nécessaires, ou ne trouverait ... sur les lieux.

... aie — coûte ... total faisant ... sur ... différentes
Calabdiste — objets

DOCUMENTS

الملحق رقم (4) صور لنساء وشمن وجوههن.

.

Tatouages du visage (Tunisie).

أنظر جميل حمداوي: ظاهرة الوشم في الثقافة الأمازيغية، الطبعة الأولى، دن.د، دن.م، 2016، ص ص 37-40.

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر العربية

- ✓ القرآن الكريم سورة الفرقان الآية 5، سورة النمل الآية 66- 68، سورة الأنفال الآية 31-32، سورة المطففين الآية 10-13.
- ✓ ابن خلدون (عبد الرحمن): تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوى الشأن الأكبر، الجزء1، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2001.
- ✓ ابن خلدون (عبد الرحمن): **تاريخ ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من دوى الشأن الأكبر**، الجزء6، مراجعة سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 2000.
- ✓ ابن منظور (محمد بن مكرم): **لسان العرب**، تحقيق عامر أحمد حيدر، ج4، دار الكتب العلمية، ط1، 2003.
- ✓ بن وزان الفاسي حسن بن محمد: **وصف إفريقيا**، تر محمد حجي، الجزء الأول، الطبعة الثانية، دار الغرب الإسلامي، 1983.
- ✓ خوجة (عثمان بن حمدان): **المرآة**، تق.تع. تح.محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2006.
- ✓ الراشدي ابن سحنون: **الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني**، تح وتق المهدي بوعبدلي، منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1973.
- ✓ الزواوي(أبو يعلى): **تاريخ الزواوة**، ترجمة: سهيل الخالدي، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.

- ✓ شلوصر(فندلين): قسنطينة أيام أحمد باي 1837-1932، ترجمة وتعليق أبو العيد دودو، صدر عن وزارة الثقافة، الجزائر، 2007.
- ✓ شالر وليام : **مذكرة وليام شالر القنصل الأمريكا في الجزائر(1816-1824)**، تع.تع.تق.اسماعيل العربي(ش.و.ن.ت)، الجزائر، 1980.
- ✓ كربخال مرمول: **إفريقيا**، ترجمة عمد حجي وآخرون، الجزء الأول، مكتبة المعارف، الرباط ، المغرب، 1984.
- ✓ لوتورنو، هانوتو: **منطقة القبائل والأعراف القبائلية**: تر:مخلوف عبد الحميد ، منشورات الأمل للطباعة والنشر و التوزيع ، المدينة الجديدة، تيزي وزو،
- ✓ مالتسان (هاينريش فون): **ثلاث سنوات في غربي لشمال إفريقيا**، ج2، ترجمة أبو العيد دودو، دار الأمة، الجزائر، 2009.
- ✓ هابنسترايت: **رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ-1732م)**، ترجمة وتعليق وتقديم ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، 2007.
- ✓ ويلسن ستيفن جيمس: **الأسرى الأمريكان في الجزائر** 1797/1785، ترجمة علي تابليت، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر 2007.

ب- المصادر باللغة الأجنبية

- ✓ Aucapitaine Hanri : Les Kabyles Et Colonisation de L'Algérie, paris, 1864
- ✓ Aucapitaine Henri, Le pays et la société kabyles, ARTHUS BERTRAND, paris ; 1857

- ✓ Diego Don Haedo, topographie et histoire générale D'Alger, tard : Monnereau et A .Berbrugge, imprimé AUALLA Dolid, 1870.
- ✓ Diego de Haedo, Histoire des rois d'Alger, Traduite et Annotée : De Grammont, Adolphe joudan, libraire-éditeur, Alger, 1881.
- ✓ Ageron (ch. R), la France a-t-elle eu une politique kabyle, Revue Historique ; t 23 ; Avril ; Juin 1960
- ✓ Devaux Charles : les kebailes du Djurdjura ; Edition Camoin Frères ; Marseille ; 1859.
- ✓ Hanotaux (A) et letourneux (A) : la Kabylie et les coutumes kabyles tome 1 ; Imprimerie nationale ; Paris ; 1893
- ✓ Dugas Josephe : LA Kabylie Et Le Peuple Kabyle ; librairie de Lyon ; Paris ; 1847.
- ✓ Rozet ( ) et Carette(E): Algérie états tripolitains, Firmin didot frères édition imprimeurs de l'institut ; paris ; 1850,
- ✓ Daumas : MEURS et coutumes de l'Algérie tell-kabylie-sahara, librarie, de l.hachette et Cie paris, 1853.
- ✓ M .DAUMAS, M.FABBAH, la grand Kabylie, Librarie de l'université royale de France, paris 1847.
- ✓ Jules Liorel ; Kabylie du jurjura ; éditions Leroux ; paris ; 1892.
- ✓ Warnier : Algérie devant L'empereur ; Challamel Aine ; paris ; 1865.

- ✓ E .Masqueray Emile ، formation des cites chez les populations sédentaires de l'Algérie ; kabyles de Djurdjura ،ERNEST Leroux éditeur ; rue bonaparte28، paris، 1886.
- ✓ Roseline MABROUKI: LA CONSTRUCTION DU MYTHE KABYLE ; Diplôme d'Etudes Supérieures. Université D'Alger ; 1975

المراجع العربية:

- ✓ اجرون شارل روبن:**الجزائريون المسلمون وفرنسا** 1871_1919 ،ج1، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2007.
- ✓ بومولة نبيل: **صفحات من تاريخ بجاية في العهد العثماني**(إمارة المقر نيين في القرن 10هـ/16م) دار هومة لطباعة و النشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
- ✓ بنور فريد: **الجواسيس الفرنسيون في الجزائر** 1782-1830، دار الواحة، 2009،
- ✓ بقطاش خديجة: **الحركة التبشيرية في الجزائر** 1830_1871، دن. ط، منشورات دحلب، الجزائر،2007.
- ✓ بوضرساية بوعزة، **السياسة فرنسا البربرية في الجزائر** 1830_1930 وانعكاساتها على المغرب العربي، دن.ط، دار الحكمة، دن،س.
- ✓ الجلالي عبد الرحمان بن محمد: **تاريخ الجزائر العام**. جزء الثاني، طبعة2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1965.
- ✓ حليمي علي عبد القادر: **مدينة الجزائر نشأتها و تطورها قبل 1830 م**، الطبعة الأولى، المكتبة الجزائرية للدراسات التاريخية، الجزائر،1972.
- ✓ ربيع أحمد: محاضرة في مقياس الطقوس والممارسات الرمزية (أسس الأسطورة)؛ تخصص أنتربولوجيا، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، ورقلة.

- ✓ سعدي عثمان: **البربر الأمازيغ عرب عاربة**، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، دن.ط، برج الكفان، الجزائر،2018.
- ✓ سعد الله أبو قاسم: **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج 6، طبعة 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان،1998،
- ✓ سعد الله أبو قاسم: **المحاضرات في تاريخ الجزائر**، الطبعة الثالثة، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- ✓ سعيدي مزيان: **السياسة الاستعمارية الفرنسية في منطقة القبائل وموقف السكان منها1871-1914**، الجزء1، دن.ط، وزارة الثقافة، الجزائر، د.س.
- ✓ سعدوني نصر الدين: **ورقات جزائرية دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني**، طبعة الثانية، دار البصائر، الجزائر، 2009
- ✓ سعدوني نصر الدين و بوعبدلي مهدي: **الجزائر في العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984.
- ✓ شارل فيرو: **تاريخ جيجلي**، ، تر عبد الحميد سرحان، دار الخلدونية لنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.
- ✓ عباد صالح: **الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830**، طبعة 1، دار هومة، الجزائر،2005.
- ✓ د.عميراوي احميد: **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر خلال العهد العثماني**، مذكرة تيدنا نموذجا، دن.ط، دار هدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2003.
- ✓ عمار عمورة :**موجز في تاريخ الجزائر**، الطبعة 1، دار الريحانة لنشر والتوزيع، الجزائر، 2002
- ✓ د. الغالي الغربي: **العدوان الفرنسي على الجزائر** خلفيات وأبعاد، طبعة خاصة، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 1954
- ✓ فراد محمد أرزقي: **إطلالة على منطقة القبائل**، دن.ط، دار الأمل، الجزائر، 2006

- ✓ قاسيمي زين الدين: **قيادة سيباو (تاريخ منطقة القبائل في العهد العثماني وبداية الاحتلال الفرنسي)**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، 2009.
- ✓ الكعاك عثمان: **البربر**، الطبعة الثانية، مطبعة النجاح الجديدة، دار البيضاء، المغرب،2003.
- ✓ المدني أحمد توفيق :**هذه هي الجزائر**، د.ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.س.
- ✓ المدني أحمد توفيق: **كتاب الجزائر**، الطبعة الأولى، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1931.
- ✓ المدني أحمد توفيق: **حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792**، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، دن.س.
- ✓ المدني أحمد توفيق: **قرطاجة في أربعة عصور من عصر الحجري إلى الفتح الإسلامي**، دن.ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.
- ✓ محرز أمين: **الجزائر في عهد الأغوات 1659_1671**، دن ط، البصائر الجديدة لنشر وتوزيع، الجزائر، 2013.
- ✓ نور الدين عبد القادر: **صفحات من تاريخ مدينة الجزائر**، دن.ط، دار الحضارة، الجزائر، 2006.

مقالات:

- ✓ بومحراث بلخير : **فرنسا الكولونيالية وسؤال الهوية في منطقة القبائل**، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم.

مجالات:

- ✓ بن جلالي فلة: **هجرة القبائل نحوى فرنسا**، دفاتر السياسة والقانون، العدد 5 جوان 2011.

- ✓ التميمي عبد الجليل: "**التفكير الديني والتبشيري لدى عدد من المسؤولين الفرنسيين في الجزائر في القرن 19م**"، المجلة التاريخية المغربية، العدد 1، تونس، 1974.
- ✓ الجنحاني الحبيب: **حركة التبشير والسياسة الاستعمارية في المغرب في القرن التاسع العشر**، مجلة الأصالة، العدد السادس عشر، الجزائر، 1978.
- ✓ أ . د. سعد الله أبو القاسم: بلاد البربر في عصر الأنوار **مجلة الدراسات التاريخية**، العدد 10، جامعة الجزائر،1997.
- ✓ د عسوس عمر : **أزمة الهوية لدى البربر في الجزائر**، مجلة البحوث والدراسات الإنسانية، عدد6 ، جامعة 20 أوت 1955، ، سكيكدة، الجزائر، 2010.
- ✓ د إبراهيم صيهوم عبد السيد: **السياسة الفرنسية اتجاه القبائل البربرية في المغرب الأقصى** 1930-1937، مجلة كلية التربية الأساسية، المجلد 23، العدد 97-2017، معهد فنون الجميلة.
- ✓ شرف الدين أحمد رضوان: **الخرافة القبائلية و السياسة القبائلية في الفكر الاستعماري في الجزائر**، عدد 10، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر، 1417_1997م.
- ✓ غطاس عائشة : **من أجل إعادة النظر في البنية الديموغرافية لمجتمع مدينة الجزائر**. معطيات مستقاة من الوثائق المحلية، مجلة الإنسانيات، عددان 19_20،جانفي _جوان 2003.
- ✓ د. كركار جمال: **القانون العرفي الجزائري خلال فترة الاحتلال**، مجلة الاجتهاد للدراسات القانون الاقتصادي، العدد 5، جامعة الجزائر(1)، جانفي2014.

المذكرات الجامعية

- ✓ بن جلالي فلة: **المسألة "القبائلية" في المجال السياسي الجزائري (من القرن 19 إلى مطلع القرن 21)**، أطروحة دكتورة في العلوم السياسية، جامعة الجزائر3،2011/2012.
- ✓ بركاهم دهان : **دور القناصل الفرنسيين في العلاقات الجزائرية الفرنسية 1689_1789**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة غرداية، 2013/2012.
- ✓ بالعمري فاتح: **الحياة الحضرية في مدينة الجزائر في العهد العثماني من خلال مصادر الرحالة**، مذكرة دكتورة العلوم في التاريخ ؛ قسنطينة، 2016_2017.
- ✓ بلغيث عبد القادر:**الحياة السياسية والاجتماعية بمدينة بوهران خلال العهد العثماني**، مذكرة لنيل شهادة ماجستير، تخصص تاريخ وحضارة إسلامية، جامعة وهران ، 2013_2014.
- ✓ بن الشيخ علي : **مملكة كوكو ونظامها السياسي والعسكري**، أطروحة دكتورة في اللغة والثقافة الأمازيغية، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2017-2018.
- ✓ بلبروات بن عتو:**المدينة والريف بالجزائر في أواخر العهد العثماني**، رسالة لنيل شهادة الدكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة وهران، 2008/2007.
- ✓ ترنيفي آلاء خديجة: **ترجمة الرموز في فن الخرافة**، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2017/2016.
- ✓ جبيري إيمان : **واقع الحياة الاجتماعية في بايلك الشرق في ظل الحكومة الداي حسين**، مذكرة ماستر، جامعة 8 ماي، قالمة.
- ✓ ياسمينة سعودي: **النظام العسكري والإداري في مشدالة ما بين1830و1897**، مذكرة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر،2004-2005.

- ✓ شوتام أرزقي : **المجتمع الجزائري و فعالياته في العهد لعثماني**(1519-1830)، أطروحة دكتورة في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2005-2006.
- ✓ غطاس عائشة : **حرف وحرفيون بمدينة الجزائر** 1700-1830(مقاربة اجتماعية اقتصادية)، رسالة دكتورة في التاريخ الحديث، الجزء 1، جامعة الجزائر 2000-2001.
- ✓ فراد محمد ارزقي : **المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية** (1749-1949)، أطروحة دكتورة في تاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر،2010-2011.
- ✓ مخلوف ساجية: **التنصير في منطقة القبائل اسبابه وعوامله؛** أطروحة دكتورة في علم النفس الاجتماعي، جامعة الجزائر2 ، الجزائر، 2013_2014.
- ✓ موهوب مبروك: **التنظيم الاجتماعي في منطقة القبائل وأثره في صمود سكانها ضد السياسة الاستعمارية الفرنسية المنتهجة فيما** (1857-1914)، مذكرة ماجستير في تاريخ المقاومة الوطنية والثورة التحريرية، جامعة الجزائر2، بوزريعة، 2010-2011
- ✓ مضر شيخ يوسف ميساء: **اللغة في الأسورة بين التأويل والتعليل** مقاربة سيميائية للنصوص الأوغاريتية، مذكرة شهادة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة تشرين،2008-2009.
- ✓ مسعودي بدر الدين: **إستراتيجية معالجة أحداث القبائل في الصحافة الجزائرية**، مذكرة ماجستير، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2004-2005.

الفهرس

شكر وعرفان

إهداء

قائمة المختصرات

مقدمة..... أ- هـ

الفصل الأول: ماهية الأسطورة القبائلية..... 8

المبحث الأول: مفهوم الأسطورة..... 8

المبحث الثاني: الأسطورة القبائلية.....13

الفصل الثاني: نشأة الأسطورة القبائلية قبل 1830..... 33

المبحث الأول: الأرضية المحلية للأسطورة القبائلية.....33

المبحث الثاني: بذور الأوروبية للأسطورة القبائلية..... 49

الفصل الثالث: تطور الأسطورة القبائلية بين 1830 إلى 1857..... 56

المبحث الأول: التنظير للأسطورة القبائلية من خلال الأدبيات الفرنسية.....56

المبحث الثاني: مساعي الإدارة الكولونيالية لتكريس الأسطورة القبائلية في منطقة القبائل.....64

المبحث الثالث: الكنيسة الكاثوليكية والأسطورة القبائلية.....69

خاتمة..... 84

الملاحق.....89

قائمة المصادر والمراجع 93

الفهرس.....103

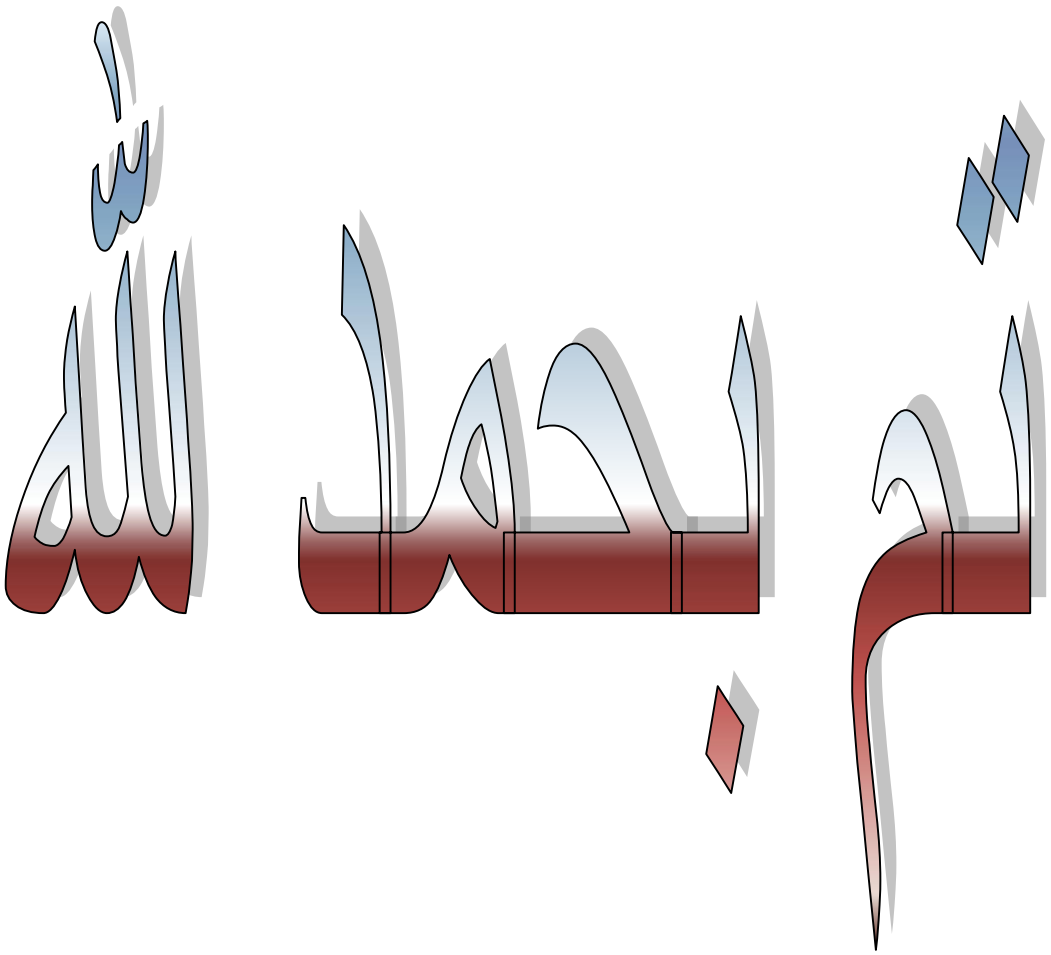
تم بحمد الله